

كِرَاسَة الدِرَاسَة SBS

الرسالة إلى أهل أفسس

غنى المسيح الذي لا يُستقصى

«تاج كتابات بولس»

«أسمى التأليفات إلهية»

«أكثر الرسائل كلها مُلوكة»

«هذه الرسالة موسيقى خالصة ... ما نقرؤه هنا حقٌّ يُرِّم، تعلِّمٌ مُلحَّن بالموسيقى»

«الرسالة إلى أهل أفسس من أهم الوثائق التي كُتبت على الإطلاق.»

«ذروة رسائل بولس»

تصف هذه الرسالة، كما لا تصفه أي رسالة أخرى، جوهر الإيمان المسيحي وأصله وأفقه، وملأه وآثاره؛ هذا الإيمان الراسخ في ابن الله الذي مات وقام وجلس على العرش.

Hans-Jörg Ronsdorf / الكنيسة المسيحية في كمبتن، ألغوي (Christliche Gemeinde Kempten, Allgäu)

المحتوى

- مدينة أفسس
- المرسل إليهم الرسالة
- بولس وتيموثاوس ويوحنا وأفسس
- مناسبة الرسالة
- محتوى الرسالة وتقسيمها
- السماويات: كم تبعد عنا؟
- البركات الروحية في العالم السماوي: ما هي؟
- الاختيار (التعيين السابق): هل هو مجرد موضوع جدال؟
- البنوة والتبني: هل هما ببساطة الشيء نفسه؟
- اجلس – اسلك – اثبت: ترتيب الله
- كنيسة العهد الجديد: منذ متى توجد؟
- ملء الله – غاية كل الأشياء
- رموز العهد القديم والرسالة إلى أفسس
- المسيح الرأس: الوحدة، الوظيفة، التمثيل

- العطايا الخمس من الأشخاص: رسل، وأنبياء، ومبشرون، ورعاة، ومعلّمون
- الإنسان الجديد: أين وكيف يظهر
- الرياسات والسلطين: الشرير والعالم غير المنظور
- سلاح الله الكامل: الحرب الروحية، ولكن كيف؟
- أفسس وكولوسي
- المراجع المستخدمة

أفسس، المدينة

كانت أفسس (باللاتينية Ephesus، وبال يونانية **Ἔφεσος**، وبالتركية Efes) من أهم وأقدم المدن اليونانية في آسيا الصغرى (تركيا اليوم) في العصور القديمة. تقع أفسس على بعد نحو 70 كم جنوب إزمير، غير بعيد عن الساحل الغربي لتركيا (بحر إيجه)، في منطقة إيونيا القديمة. وفي العصور القديمة كانت تقع على البحر مباشرة. وبسبب الترسبات والتغيرات المناخية والزلزالية انزاح خط الساحل مع الزمن نحو الغرب، حتى صارت المدينة اليوم على بعد عدة كيلومترات داخل اليابسة، فلم تعد مدينة ميناء.

كانت أفسس من أهم مدن الإمبراطورية الرومانية، ومن أكبرها أيضًا إذ زاد عدد سكانها كثيرًا على 200.000 نسمة، وكانت مقرّ الوالي (البروقنصل) لولاية آسيا. وقامت فيها مباني عامة كثيرة مؤلّتها المدينة والمواطنون الأغنياء على السواء. ومن بينها أيضًا هياكل للإمبراطورين فسباسيان وهادريان اللذين كانا يُعبدان في إطار عبادة الإمبراطور. وكان لأفسس، من جهة الإرسالية، موقع استراتيجي جيد بفضل طرق التجارة الكبرى وموقعها كميناء.

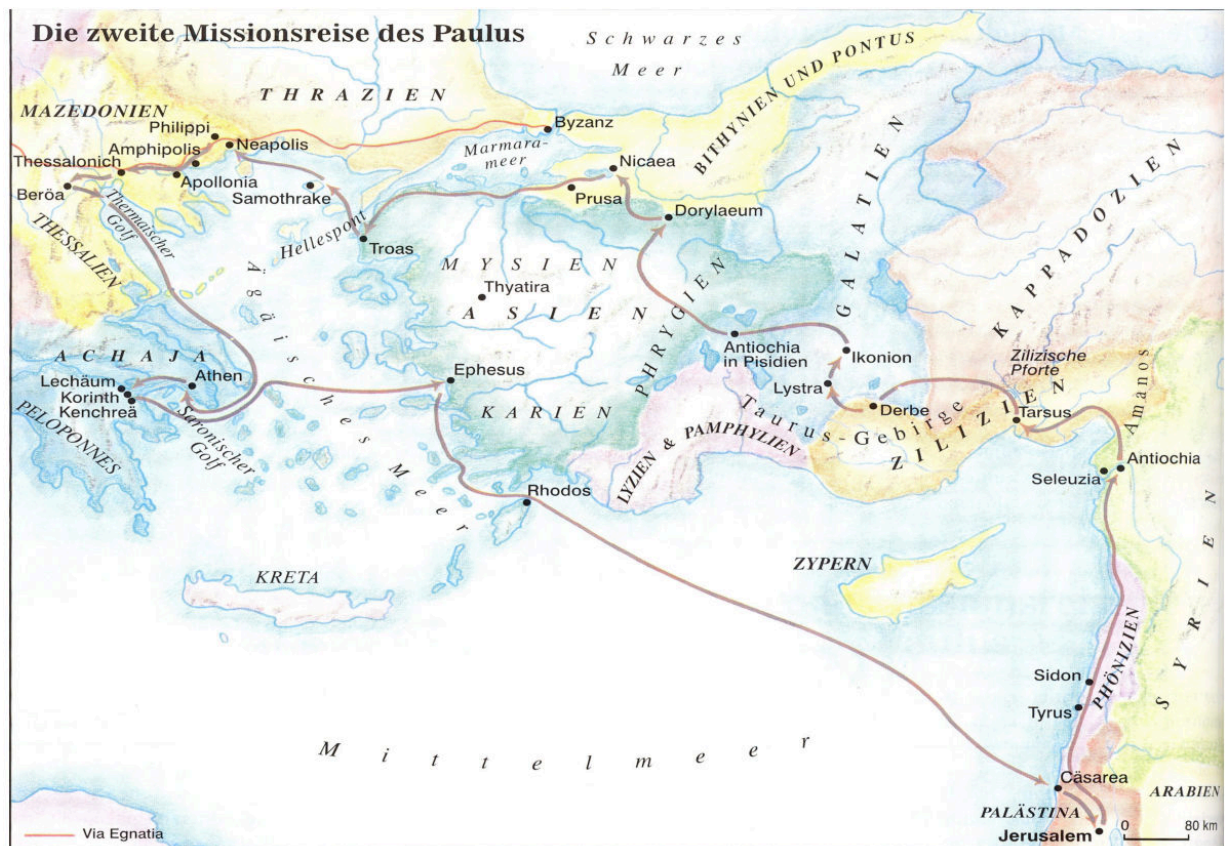
كانت مدينة عالمية، وبوتقة تنصهر فيها ثقافات وديانات مختلفة. واشتهرت أفسس على نطاق واسع بالإلهة أرطاميس وهيكلها الضخم الذي كان من عجائب الدنيا السبع في العالم القديم. وكان لعبادة الآلهة وللأمر الغيبية (الأوكولتية) وللشّحر دور مهم في هذه المدينة، بل وفي آسيا الصغرى كلها.

وعلى هذه الخلفية تصبح بعض مقاطع الرسالة مفهومة على نحو خاص. ويبدو إجمالًا أن مناسبة الرسالة تكمن تحديدًا في هذه الخلفية الروحية الدينية.

في القرن التاسع عشر بدأ التنقيب الأثري في أفسس بالبحث عن بقايا هيكل أرطاميس. (المصدر: www.wikipedia.de)

واليوم تُعدّ أفسس من مناطق الجذب السياحي في تركيا، يزورها مئات الآلاف كل عام.

أما شهادة مسيحية في صورة كنيسة أو جماعة مؤمنين فلم تعد موجودة في هذه المدينة منذ زمن طويل.



بولس وأفسس

في نهاية رحلته التبشيرية الثانية جاء بولس إلى أفسس أول مرة، لكنه غادرها بعد وقت قصير (أعمال 18: 19-21). ثم قادته رحلته التبشيرية الثالثة (أعمال 18: 23 – 21: 16) إلى أفسس، حيث بقي وعمل 3 سنين (أعمال 20: 31)، لأن الرب كان له هناك عمل عظيم يقوم به. ومن هناك كتب نحو سنة 54 و55 الرسالتين إلى أهل كورنثوس. أما الرسالة إلى أهل أفسس، وكذلك الرسائل إلى أهل فيليبي وأهل كولوسي، وإلى فليمون أيضًا، فقد كتبها من روما (وربما من قيصرية قبل ذلك)، أثناء أسره الأول في روما، نحو سنة 60 – 62. وكل هذه الرسائل تذكر أسره. وقد حمل الرسائل تيخيگس (6: 21-22).

كانت خدمة بولس في أفسس، بوصفها رأس جسر لآسيا الصغرى كلها وما بعدها، مثمرة ومباركة: «وكان ذلك مدة سنتين، حتى سمع كلمة الرب جميع الساكنين في آسيا، من يهود ويونانيين. وكان الله يصنع على يدي بولس قوات غير المعتادة، حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى، فتزول عنهم الأمراض، وتخرج الأرواح الشريرة منهم»، أعمال 19: 10-12.

وأيضًا: «هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة»، أعمال 19: 20. وفي هذا السياق يكشف خطاب وداع بولس لشييوخ كنيسة أفسس الكثير، لأنه يستعيد فيه إقامته وخدمته التي امتدت سنين ويصف عمله: أعمال 20: 17-38.

تيموثاوس وأفسس

لا شك أن تيموثاوس كان في أفسس مرات عديدة. ففي إحدى المرات تركه بولس هناك (1 تيموثاوس 1: 3). وأُرسلت الرسالة الأولى إلى تيموثاوس (والثانية أيضًا) إلى أفسس، لأن تيموثاوس كان هناك. ويتضح من هذه الرسالة أنه كانت هناك مشكلات مع تعاليم باطلة (الغنوصية، والناموسية، وغيرها) كان عليه أن يعالجها.

ويجعل التقليد التاريخي، أو الكنسي، من تيموثاوس أسقفًا لأفسس.

يوحنا الرسول وأفسس

يقال عن يوحنا الرسول إنه عاش مدة طويلة في أفسس. ولا يوجد لذلك نص كتابي يثبت، لكن توجد شهادات معاصرين. ففي تقليد الكنيسة القديمة نجد روايات تفيد بأن يوحنا لم يمّت إلا في شيخوخة متقدمة جدًا في آسيا الصغرى. ويروي يوستينوس الشهيد (Justin der Märtyrer) في منتصف القرن الثاني عن «يوحنا، أحد الرسل» شاهدًا عاش «عندنا» (أي في أفسس). ويتحدث إيريناوس (Irenäus)، وهو من آسيا الصغرى (أواخر القرن الثاني)، في مواضع كثيرة عن يوحنا الرسول الذي عاش في آسيا الصغرى، ويصرّح بأن يوحنا كتب إنجيله في أفسس وعاش هناك حتى أيام حكم تراجان.

والرسالة إلى ملاك كنيسة أفسس، وكذلك سائر الرسائل التي كتبها يوحنا إلى الكنائس، تشهد على نطاق نشاطه في آسيا الصغرى.

ويذكر تقليد كنسي آخر (كاثوليكي!) أن يوحنا انتقل مع مريم، أم يسوع، ومع نساء أخريات إلى أفسس قبل خراب أورشليم.

ومما يستحق التأمل أن بولس يكتب إلى تيموثاوس عن تعليم الغنوصية الخطير، وهو التعليم نفسه الذي يحاربه يوحنا أيضًا في رسائله.

الخلاصة: كانت كنيسة المدينة الكبيرة في أفسس متميزة ومدعومة على نحو خاص، بفضل إقامة الرسولين فيها، وكذلك مبعوثيهما أو معاونيهما وتلاميذهما، وبفضل شخصيات مثل أبلوس والزوجين أكيلاب وريسكلا، وبفضل الرسائل التي تلقّتها (قبل اكتمال قانون العهد الجديد).

وفي سنة 431 م انعقد في أفسس المجمع الثالث للكنيسة، الذي لا تزال قراراته معترفًا بها حتى اليوم. ومع ذلك، للأسف، لم يبقَ شيء من شهادة مسيحية هناك.

مناسبة الرسالة

يقال عمومًا، وبحق، إنه لا توجد لهذه الرسالة مناسبة خاصة كالتي تتبيّنها بوضوح مثلًا في رسالتَي كورنثوس أو في رسالة غلاطية. فهذه رسالة عامة، نوع من الرسائل الدورية بلا تفاصيل شخصية خاصة، لكنها تحمل تعليمًا واسعًا ومنهجيًا. وهي تبسط، كما لا تبسطه أي رسالة أخرى، التعليم عن الكنيسة، جسد المسيح، وعن المسيح الرأس، وعن المقام السماوي للمسيحي. لم تكن أفسس مركزًا للتجارة أو المال فحسب، بل أيضًا لديانات الأسرار ولعبادة الأوثان وللأمور الغيبية والسحر. وكانت حياة الناس محكومة بذلك. وكانت القوى الروحية التي يذكرها بولس مرارًا تؤدي دورًا مهميًا. فكان الناس يستحضرونها لتمارس نفوذها لمصالحهم الخاصة. وهكذا كان نفوذها حاضرًا في كل مكان، لكنه كان مُهْدِدًا أكثر بكثير مما كان نافعًا. ومن ثمّ يمكن أن نجد مناسبة أخرى للرسالة في تنوير المؤمنين في أفسس، ومن ثمّ في آسيا الصغرى كلها، بشأن هذه القوى، بهدف ألا يخافوها بعد (أو حتى أن يأخذوا شيئًا منها إلى إيمانهم الجديد، انظر في ذلك الرسالة إلى أهل كولوسي)، بل أن يحترسوا من تأثيرها الإبليسي الحاضر في كل مكان (الحرب الروحية). وتحذّر الرسالة أيضًا من تعاليم باطلة وغريبة، دون أن تصفها بتفصيل أكثر (كما في الرسالة إلى أهل كولوسي).

محتوى الرسالة وتقسيمها

يكشف بولس مشورة الله الأزلية وقصده، الذي يشمل المسيح – ابن الله الذي صار إنسانًا – والمؤمنين أفرادًا، والكنيسة أيضًا. ولكي تبلغ مشورة الله هذه غايتها، كان لا بد أن يموت المسيح ويقوم، لأن الذين يؤمنون الآن كانوا قبلًا أمواتًا في الخطايا. فهم يُجعلون أناسًا جددًا، لائقين بحضرة الله الآن وفي المستقبل. ومنذ الآن تظهر مشورة الله الأزلية في الزمن الحاضر في حياة المؤمنين والكنيسة.

تصف هذه الرسالة، كما لا تصفه أي رسالة أخرى، جوهر الإيمان المسيحي الذي يقوم على ابن الله الذي مات وقام وجلس على العرش عن يمين الله. لأن إنسانًا هناك عند الله في السماء عن يمينه، يستطيع البشر أن يكونوا هناك، منذ الآن فيه، وعن قريب معه. فيه نحن هناك، في السماويات، متّحدون بالمسيح اتحادًا لا ينفصم إلى الأبد، أفرادًا وكنيسةً.

تقسيم الرسالة:

	الجزء 1: الأصحاحات 1 – 3 الجزء التعليمي (العقائدي)
--	---

	المقام الخلاصي في المسيح – الخلاص في صيغة الخبر (الإنديكاتيف)
	الأصحاح 1
الأعداد 1 – 14	تسبيح الله وسجود له: ما يدّبره الله لنفسه ويعمله وما وهبه لنا، قصد الله للكون: المسيح الرأس ونصيبنا فيه
الأعداد 15 – 23	ما يُعطى لنا أن نعرفه: أولاً الله نفسه، ثم ميراث الله فينا، والمستقبل، وقوّته المُحيية
	الأصحاح 2
الأعداد 1 – 10	قبلاً والآن – خلاص الله: من الموت الروحي إلى المقام الخلاصي الجديد في المسيح في السماويات
الأعداد 11 – 22	لا انفصال بعد بين اليهود والأمم: يصير الاثنان إنسانًا واحدًا جديدًا وهيكلًا جديدًا لله
	الأصحاح 3
الأعداد 1 – 13	الخدمة الخاصة لرسول الأمم: كنيسة العهد الجديد، شعب الله «الجديد» بوصفه قصد الله الأزلي
الأعداد 14 – 21	ما ينبغي أن نصلي لأجله دائمًا وأولاً: تشفّع وتسبيح لأجل قوة الروح، ومحبة يسوع، وملء الله
	الجزء 2: الأصحاحات 4 – 6 الجزء العملي – حياة المؤمنين حياة الإنسان الجديد – الخلاص في صيغة الأمر (الإمبراتييف)
	الأصحاح 4
الأعداد 1 – 16	حثّ على الوحدة: مواهب الجسد وأعضاؤه ونموّ الجسد، أي الكنيسة
الأعداد 17 – 32	الإنسان الجديد: حياة المؤمنين المختلفة كليًا
	الأصحاح 5
الأعداد 1 – 21	الحياة كأولاد لله: الكلام والسلوك كتمثّلين بالله على النقيض من العالم
الأعداد 22 – 33	المسيح والكنيسة: مثال للعلاقة بين الرجل والمرأة
	الأصحاح 6
الأعداد 1 – 9	الآباء والأولاد – العبيد والسادة
الأعداد 10 – 24:	سلاح الله الكامل: الحرب الروحية

دوائر الموضوعات

سنتناول الآن نص الرسالة إلى أهل أفسس في صورة محاور موضوعية. وتلي ذلك بعض الاستطرادات عن مفاهيم ترد أكثر من مرة، وهي على أي حال مميزة لهذه الرسالة، إذ تدلّ على محتوى الرسالة وغايتها وقصدها. وهي تشكّل مفتاحًا لفهم الرسالة.

السماويات – كم تبعد عن الأرض؟

(«قطعة من السماء، مكانٌ من عند الله»)

إن عبارة «[الأماكن] السماوية» (باليونانية: **ἐπουρανίους** epouraniois، جمع) تعبير محوري في رسالة هذه الرسالة، يمتد من عرش الله، مركز كل سلطان، مباشرة إلى حياتنا اليومية.

لا يظهر هذا التعبير إلا في هذه الرسالة، وربما كان لذلك صلة بالوضع الديني الخاص في أفسس، مركز عبادة الأوثان لأرطاميس / ديانا وعبادات أخرى (السحر، والشعوذة، والأمور الغيبية).

نحن اليوم لا نميّز إلا سماءين: السماء بوصفها المكان الذي يسكن فيه الله (غير منظورة، بُعد آخر غير البعد الذي نعيش فيه)، وسماء الهواء، أي الغلاف الجوي و/أو الكون حيث توجد الأجرام السماوية (منظورة).

أما القرّاء الأوائل لهذه الرسالة، من الأمم واليهود، فكانوا يعرفون السماء في عدة طبقات (ثلاث أو سبع في الغالب)، تسكنها كائنات روحية مختلفة (ملائكة، وشياطين، وقوى، وغيرها). ولم يكن لذلك من حيث المبدأ صلة بإعلان الكتاب المقدس، أي العهد القديم، بل بإيمان واسع الانتشار بالآلهة، وبتيارات إيمانية خاصة أو متطرفة، حتى داخل اليهودية. ولا يرفض بولس هذا الإيمان أو هذا التصوّر، بل يفترضه معطًى وحقيقياً، دون أن يقدّم عنه معارف إضافية.

وما يقرّره هو أن السماء غير المنظورة هي من جهة مكان عرش الله، ومن جهة أخرى نطاق عالم الأرواح. وحين يقول إننا نخوض حرباً روحية (أفسس 6: 12) ضد الأرواح الشريرة في السماويات، فإن هذه الحرب تجري على الأرض، أي بصورة ملموسة تماماً في حياتنا اليومية.

وهنا أيضاً يتضح أن السماويات تمتد من مكان عرش حكم الله إلى حياتنا. فهذا البعد الآخر للسماء غير المنظورة، هذه الحقيقة الروحية، يتقاطع مع بُعدنا الذي نعيش فيه، ويتخلّله أو يتراكب عليه. ويبدو أن هذا الفرق بين المنظور وغير المنظور لا وجود له بالنسبة إلى العالم غير المنظور. وبعبارة أخرى، توجد هذه الأماكن السماوية، بمعنى ما، في جوارنا المباشر أيضاً.

فهذا المفهوم إذن شامل جدّاً: فهو من جهة عرش الله، ومن جهة أخرى الغلاف الهوائي المحيط بنا، الذي تقيم فيه القوى الروحية غير المنظورة (2: 2).

يستعمل بولس عبارة «[الأماكن] السماوية» خمس مرات، ويفتح مع كل ذكر لها جانباً جديداً:

1. 3: 1 يقول إن غنى البركة الروحية يُوهب ويُنال هناك (فقط).

2. 20: 1 يُظهر المسيح هناك عن يمين الله، جالساً على عرش الله. وهذا العرش هو مركز الأماكن السماوية، ويُظهر «الطرف الأول للأماكن السماوية».

3. 2: 6 يوضح أننا نحن أيضًا قد نُقلنا إلى هناك لأننا متحدون بالمسيح، أي أننا «في المسيح». ولولا وجودنا هناك لما استطعنا أن ننال البركة. هناك بيتنا الحقيقي، خلاصة رجاء مستقبلنا. لكن الحديث هنا عن «الآن»، عن مقام أو مكانة نشغلها منذ الآن، مع أننا ما زلنا نعيش على الأرض.

4. 3: 10 يضيف أنه ليس كل مؤمن على حدة (بمفرده كفرد) هناك فحسب، بل الكنيسة ككل (جماعيًا)، وأن الملائكة يرونها هناك، برهانًا على عمل الله الخلاصي أمام العالم غير المنظور، ولا سيما أمام الجزء الذي ارتدّ عن الله.

5. 6: 12 يكشف أن هناك حربًا في المجالات السماوية بين إبليس وملائكته (الشياطين) وبيننا. وعملهم الشرير يجري في العالم، على الأرض. فالمجال السماوي، إن صحّ التعبير، يتقاطع مع مجالنا الذي نعيش فيه، حيث تدور هذه الحرب. وتأثير العالم غير المنظور على العالم المنظور، من السماء على الأرض، تأثير هائل وحاضر.

يتبيّن من هذه النصوص أن الحديث من جهة هو عن القرب المباشر من الله، عن مسكنه، عن مكان عرشه. وعبارة «في [الأماكن] السماوية» (ἐν τοῖς ἐπουρανίοις en tois epouraniois ...) لا ترد إلا في هذه الرسالة. وهي تحديد للمكان، وهذا ما توضّحه إضافة كلمة «أماكن» (أو أيضًا: مجالات، أرجاء، مناطق، العالم السماوي) – غير الموجودة في النص اليوناني. ويمكن أن نترجم أيضًا «في السماويات». وبالقدر نفسه تدلّ العبارة على نوع الشيء وطابعه. فالبركات ليست في أماكن سماوية فحسب، بل هي في ذاتها «سماوية» أيضًا.

وتتنطوي هذه العبارة كذلك على تقابل، أي التقابل بين السماء والأرض، وبين المنظور وغير المنظور. وربما كان هذا الأخير أيسر مدخل لنا لفهم هذا المفهوم المجرد، وإن لم يكن الجانب الوحيد لهذه المفاهيم. فحين «صعد يسوع إلى السماء» ارتفع عن أعين التلاميذ (أعمال 1: 9)، وبعبارة أخرى، صار غير منظور. ولا يتعلق الأمر هنا بأن يسوع انطلق إلى مكان بعيد جدًّا، بل بأنه توارى في العالم السماوي غير المنظور، إلى عرش الله.

ويقود مفهوم «البركة الروحية» بولس إلى عبارة «في السماويات»، وهذه صلة ليست عرضية على الإطلاق. فإسرائيل القديم نال بركة العليّ، وكانت بركات أرضية: أرضًا خاصة به، وحصادًا وفيرًا، ونسلًا، وصحة.

أما الآن فالحديث عن بركة لم تكن موجودة من قبل، ولا يمكن أن يبلغها البشر بأنفسهم. قبلًا كانت البركة على الأرض. والآن هناك بركة في السماء، أي بركات سماوية. وهذا يعني أنه لا بد أن نكون هناك إن كان لنا أن ننالها. وهذه بالضبط هي الرسالة الكامنة في عبارة «الأماكن السماوية»: السماء مفتوحة لنا، هناك مكاننا، ووطننا، وبيتنا. نحن، على خلاف إسرائيل، شعب سماوي. الله يريدنا عنده، والطريق إلى هناك مفتوح بابن الله وابن الإنسان القائم من الأموات والمُجّد. لقد قرّبنا إلى الله، لا لكي يحلّ مشكلة الذنب فحسب، بل لكي يأتي بنا إلى البيت، إلى قلب الله. ومثل الابن الضال يستقبلنا أبونا السماوي في بيته ويغدق علينا هناك بكل ما يملكه الآب (لوقا 15: 11-32). لقد قبلنا وثبّتينا بنين، وبهذه الصفة نحن ورثة لنا كل ما يملكه الآب.

لماذا تُوهب لنا البركات الروحية تحديدًا «في السماويات»؟ لأن الله يريد أن نكون هناك حيث المسيح المُجّد السماوي. فنحن متحدون به اتحادًا لا ينفكّ إلى الأبد، أفرادًا وجماعةً بوصفنا جسده، أي الكنيسة.

وسنبقى في ذلك دائماً بشرًا، مخلوقين على صورة الله. لكننا بتدخّل الله في المسيح سنلبس يومًا صورة السماوي، وحينئذ سنكون نحن أيضًا **سماويين** (1 كورنثوس 15: 48-49). هناك كائنات كانت دائماً تنتمي إلى هذه المنطقة. وتُسمّى في هذه الرسالة سلاطين ورياسات. إنهم ملائكة (فيلبي 2: 10)، كائنات سماوية. أما نحن فكائنات أرضية تصير بالمسيح سماوية، مثل المسيح. وهذا لن ينطبق أبدًا على الملائكة.

وليست الرسالة إلى أهل أفسس وحدها هي التي تؤكد الطابع السماوي للمسيحي. بل هذا إعلان العهد الجديد كله: أن الكنيسة شعب سماوي:

- جاء ابن الله ليُعلن لنا **السماويات (τὰ ἐπουράνια)**، التي لم تكن معروفة من قبل، والتي لم يكن ممكنًا أن يُخبر بها إلا ابن الله نفسه الآتي من السماء (يوحنا 3: 12)
- لنا نصيب في **الملوك السماوي (αὐτοῦ τὴν ἐπουράνιον βασιλείαν)** / εἰς τὴν ... إلى ملكوته السماوي (لربنا يسوع المسيح (2 تيموثاوس 4: 18)
- نحن شركاء في **الدعوة السماوية (κλήσεως ἐπουρανίου μέτοχοι)**، **مدعوون من السماء إلى السماء (عبرانيين 3: 1)**
- **لنا عطية سماوية (τῆς δωρεᾶς τῆς ἐπουρανίου)** نذوقها، أي نتمتع بها (عبرانيين 4: 6)
- لقد اشتاق الآباء الأولون (ἐπιζητοῦσιν) طلبوا، تطلّعوا) إلى **وطن (πατρίδα) سماوي (τοῦτ' ἔστιν ἐπουρανίου)**، فكم بالحري نحن (عبرانيين 11: 13-16)
- **لنا سيرتنا (مواطنتنا) في السماوات (فيلبي 3: 20)**
- (τὸ πολίτευμα ἐν οὐρανοῖς ὑπάρχει)
- **لنا رجاء موضوع لنا في السماوات (كولوسي 1: 5)**
- (διὰ τὴν ἐλπίδα τὴν ἀποκειμένην ὑμῖν ἐν τοῖς οὐρανοῖς)
- نهتم بما فوق، **حيث المسيح (كولوسي 3: 1-4)**
- **= ميراث لا يضمحل محفوظ لنا في السماوات (1 بطرس 4: 1)** τῆς ἐπουρανίου
- نحن لا ننظر إلى ما تراه العيون، بل إلى ما نراه بالإيمان بعيون القلب، إلى **أشياء** ليست وقتية بل أبدية. الأمر يتعلق ب**ثقل مجد أبدي** (2 كورنثوس 4: 16-18)
- ننظر بعيون القلب إلى **مجد المسيح في السماء** (الذي لا يزال غير منظور) (2 كورنثوس 3: 18؛ أعمال 7: 55)

السماء مفتوحة ... إنها الرسالة الجوهريّة للعهد الجديد: أن السماء، التي كان الله فيها محجوبًا عنّا نحن البشر، ولا سيما عن الأمم، قد صارت الآن مفتوحة (فقد انشقّ حجاب الهيكل حين مات يسوع)، وأن الدخول صار مفتوحًا لا إلى المقدس الأرضي اليهودي، بل إلى المقدس السماوي.

مثل سُلّم إلى السماء ... وهذه أيضًا رسالة العهد الجديد: أن الله يُعلن نفسه من السماء في الابن، ويظهر نفسه كما هو حقًا. إنه مثل **سُلّم إلى السماء** يصل الأرض بالسماء، ويمكن السير عليه في كل اتجاه (يوحنا 1: 51؛ تكوين 28: 12). الله يأتي إلينا ونحن نذهب إليه. وفي هذه الرسالة نتطلّع حتى عرش الله، حيث يشغل

ربّنا مقام الكرامة الأعلى، ومع ذلك يسكن في الوقت نفسه فينا نحن الذين لا نزال على الأرض (3: 17). وبهذا المعنى نملك البركة الروحية ونحن لا نزال على الأرض. فالأماكن السماوية، إن صحّ القول، هي بكل بركتها في قلوبنا. لذلك فهذه الأماكن السماوية قريبة جدًا، وليست بعيدة عنّا بُعد السنين الضوئية.

نُقلنا إلى السماء ... في المسيح ... هناك فيه

نحن المؤمنون قد نُقلنا في المسيح إلى هناك. و«في المسيح» ليست (بعد) «مع المسيح». فعبارة «في المسيح» تصف مقامنا أو مكانتنا التي لنا فيه. أي أن الله ينظر إلينا على أننا **في المسيح**، ولذلك فنحن منذ الآن **هناك فيه**، ونشاركه مقام النصر على عرش الله. ولا يمكن أن يكون مقامنا الخلاصي أعلى ولا أكثر أمانًا من ذلك.

وبالنسبة إلى الله، الذي يريدنا هناك في ذلك المكان حرفيًا وجسديًا أيضًا، فهذا صحيح منذ الآن، لأن التحقق مضمون في قصده قبل بلوغ الغاية.

وإليكم مثالًا للتوضيح، إذ يصعب علينا، نحن الذين نفكر في إطار المكان والزمان، أن نتصوّر أننا منذ الآن في السماويات:

النائب المنتخب عن الشعب يمثّل مصالحه في البرلمان. فالذين انتخبوه حاضرون هناك في البرلمان، بالمعنى الرسمي، في شخص هذا النائب، وممثّلون فيه. وهكذا نحن ممثّلون بالمسيح وفي المسيح في السماء عند العرش، في مركز السلطان.

ومثال آخر يُظهر كيف يعيش المرء عمليًا في السماويات:

نوع معيّن من العناكب المائية يعيش تحت الماء، لكنه يتنفّس داخل فقاعة هواء تحت الماء، أو منها، أخذها معه من السطح إلى تحت الماء. وهكذا نحن نعيش هنا منذ الآن من هذا العالم السماوي الذي يملؤه المسيح، وفيه، وبه، وشرط هذه الحياة بطبيعة الحال أن نطلب ما هو سماوي، وأن نعرف الأمور السماوية.

الانفصال قد زال ...

الانفصال بين العالم المنظور والعالم غير المنظور، بين الأرض والسماويات، قد زال بالنسبة إلى المؤمنين منذ الآن: فلهم قدوم إلى الآب. وفي الدهر الآتي، حين يكون المسيح رأسًا لكل شيء، سينتهي هذا الانفصال على مستوى العالم كله أيضًا.

إيمان أهل أفسس السابق بالآلهة ...

في إيمان أهل أفسس القديم كانت السماويات مجال سلطان الآلهة التي كانت تؤثّر في حياتهم وتتحكّم فيها. كانت كائنات معادية، يقع الإنسان تحت رحمتها بسبب تفوّقها في القوة. وكان العالم غير المنظور من جهة خطيرًا، لأن الناس لم يكونوا يعرفون بالضبط ما يجري هناك. وكان لهذا المجال أهمية كبيرة وجاذبية قوية، إذ كان يُنتظر من الآلهة أن تُعين على بلوغ الأهداف الخاصة. وكانت الأمور الغيبية والسحر، وكذلك الصيغ السحرية، يُراد بها إخضاع الآلهة. والآن تحرّر أهل أفسس من هذا الخوف، بل نُقلوا إلى هذا المجال نفسه، لكنهم رُفعوا فوق القوى التي هناك. ففي المسيح نُقلوا إلى مركز السلطان، ولم تعد القوى قادرة

على أن تؤذيهم. وبذلك لم يعودوا فوق القوى فحسب، بل فوق النجوم أيضًا، التي كانت في تصوّرهم تحدّد مصير البشر.

البركات الروحية في العالم السماوي: ما هي؟

ماذا يمكن أن يتمنّى الإنسان أكثر من أن يباركه الله؟ لقد فعل ذلك وباركنا. هذا هو إلّنا، لا أحد مثله. البركة ذات طبيعة روحية وسماوية. وبهذا تُقَابَل هذه البركة بالبركة الأرضية المادية. فهي تُوهب في السماوات.

فهل يعني ذلك أنه ليست لنا بركة أرضية؟ بالتأكيد لنا بركة أرضية أيضًا. فأبونا السماوي هو حافظ جميع الناس، ولا سيما المؤمنين (1 تيموثاوس 4: 10). لكن البركة الأرضية (وللأسف نخلط بينها أحيانًا وبين الوفرة) ليست موعودة لنا ولا مضمونة. ولا يمكننا أن نحتج بها. ينبغي أن نكون شاكرين إن كان لنا قوت وكسوة – هذه بركة أرضية (1 تيموثاوس 6: 8). نحن نعيش في خليفة ساقطة ترزح تحت اللعنة. والبركة الروحية لا ترفع اللعنة ولا عواقب الخطية، بل تغيّر قلبنا وتملؤه.

البركة الروحية موجودة بغنى ووفرة؛ لقد وُهبَت لنا **كل** البركات. وهذه حقيقة عظيمة تتجاوز الطعام والشراب وكل غنى أرضي. فما كان حتى الآن بعيد المنال عن البشر صار الآن ملكًا لنا. وما يكون مجد السماء وغناها ومحبتها وطهارتها وحياتها قد وُهب لنا الآن في المسيح. فالله، أبو ربنا يسوع المسيح، يجعلنا في المسيح، ابن الإنسان القائم والجالس على العرش، شركاء في البركات التي في مجد السماء. **إنسانٌ مُمَجِّد في السماء يمهّد لنا الطريق ويأخذنا معه إلى خزانة الله السماوية.**

كل البركات الروحية الموجودة هناك صارت ملكًا لنا. ففي المسيح وحده ننال ما لم يكن إنسانٌ ليجرؤ أن يحلم به. لقد بذل الله ابنه الوحيد ولم يُشفق عليه من أجلنا. وسيهبنا معه كل ما يمكن تصوّره من خير وبركة (رومية 8: 32).

ولكن هل نعرف ما هي البركات والكنوز السماوية التي وُهبَت لنا في المسيح، والتي يتحدث عنها بولس هنا تحديدًا؟

إذا كان بولس يضع القول عن البركة في صدر رسالته مباشرة، كأنه ملخّص لمحتواها، فيجدر بنا نحن أيضًا أن نبحث عن البركات أولًا في هذه الرسالة، ثم أن نبحت فيما وراءها في العهد الجديد عن مواضع موازية وبركات أخرى. وفي بحثنا نميّز بين ما عمله الله فينا وما جعلنا إياه، وبين ما حصلنا عليه. فالأول هو الطريق والمدخل إلى الكنوز، والثاني هو الكنز نفسه.

وفي جولتنا عبر هذه الرسالة غير العادية نلتقي ببركات مُبهرّة. والجواسيس الذين تجسّسوا أرض كنعان لم يصدّقوا أعينهم أحيانًا (العدد 13). فقد كانت الوفرة الزراعية مُبهرّة. وكان مقدّرًا أن تكون لهم فعلًا. **وما نجده في الرسالة إلى أفسس هو لنا هنا والآن، كله بلا استثناء، وإن كان جزء من البركة لن يُمتلك إلا في المستقبل.** نحن لا ننتظر بركة خاصة، بل نملكها. لكن المطلوب أن نمدّ أيدينا، وأن نبحت، وأن ننظر، وأن نتمتّع، لكي يمنحنا هذا الغنى أيضًا الوعي بأننا، بوصفنا أبناء الله، أغنياء منذ الآن، لا في المستقبل فقط. ينبغي أن نعرف ميراثنا. «لكنك غني»، يقول المسيح لكنيسة سميرنا (رؤيا 2: 9)، التي كانت فقيرة في الأمور المادية. الحديث هنا عن غنى روحي، لا عن مال وبيوت وسيارات. ومعرفة الغنى الذي أعطاه الله لها أهمية كبيرة لحياة إيماننا اليومية. فماذا ينفع الإنسان إن كان لا يعرف أنه مالك ووارث لثروات عظيمة، ومع ذلك

يعيش في فقر؟ لكان تفكيره وموقفه من الحياة ورجاؤه مختلفة تمامًا لو عرف ذلك! لذلك يصلي بولس (مرتين في هذه الرسالة: 1: 15-18؛ 3: 14-19) بهذه الحرارة لكي تنفتح عين قلبنا فنعرف البركة. الله لا يفرض علينا مسيحية ضيقة هزيلة! إنه جادّ في أن نعيش في الملء وفي غنى المسيح الذي لا يُستقصى! والفقر الظاهري، بل والاضطهاد في اللحظة نفسها، لا يتناقضان مع ذلك! فالمبدأ الساري هو مبدأ الإيمان والرجاء: منذ الآن – ولكن ليس بعدًا! غير أن «ليس بعدًا» سينتهي قريبًا، وسنتسلم ميراثنا مع المسيح. وما يُسمّى «إنجيل الرخاء» تناقض، لأنه يخلط بين البركة الروحية والبركة الأرضية، أو يستبق السماء. فالتقوى ليست وسيلة لربح مادي أو مالي.

لنبدأ بحثنا. في العدد 11 يقال إننا لننا نصيبًا (ميراثًا). فقد صرنا بوصفنا أبناء الله وأولاده ورثة لله (رومية 8: 17؛ يعقوب 2: 5). فما هو الميراث؟ الأمر يتعلق أولًا بالمسيح، الذي سيرفعه الله فوق كل شيء بوصفه وارثًا لكل شيء (عبرانيين 1: 2). إنه منذ الآن مرتفع فوق كل الأشياء، لكن ذلك سيُستعلن قريبًا، أي سيصير منظورًا للخليقة كلها. ولنا نصيب في هذا الملك في المجد. نحن حاضرون فيه عن قرب شديد. فنحن، بوصفنا الكنيسة، جسده الذي سيُسلم إليه تدبير كل شيء. وهذه بركة مستقبلية نملك منذ الآن عربونها. نحن نعيش أمام أفق المجد هذا؛ فالمسار ليس إلى أسفل، بل إلى أعلى.

وفي ارتباط بالميراث توجد بركة سماوية أخرى: الروح القدس، الذي هو العربون والدفعة الأولى لضمان الميراث والوفاء به (1: 13-14). فالروح إذن ملك لنا، وقد وُهب لنا بوصفه روح الحكمة والإعلان (1: 17). الروح يعرّفنا بالغنى، وهو الذي يقودنا إلى الآب (2: 18). إنه الروح الذي يقوينا في الإنسان الباطن، فهي إذن بركة يمكن اختبارها كل يوم (3: 16؛ انظر أيضًا 4: 23، 30؛ 5: 18؛ 6: 18، 17). إنه روح الله الذي به نشأت شركة جسد المسيح، وهو الذي يحييها ويتخلّلها (4: 3). وهذه البركة ليست شيئًا، بل شخص، شخص إلهي.

لقد أرسل الروح القدس من السماء، وهو الذي يرشدنا إلى الحق الإلهي لكي نعرف (ونتعلّم أن نعرف) الأشياء الموهوبة لنا من الله (1 كورنثوس 2: 12؛ يوحنا 16: 13؛ 14: 17). ويُذكر في هذه الرسالة 13 مرة، وهذا يستحق بالتأكيد الانتباه المناسب. إنه هو نفسه عطية سماوية لنا، وهو في الوقت نفسه الذي يكشف لعيون القلب أمور السماء.

إن الحقيقة، أي الواقع، أن هذا الروح يسكن فينا، ليست تعليمًا مجردًا، بل واقعًا روحيًا معاشًا، يمكنه أن يشارك في تحديد كل تصرف وكل مجرى في حياتنا وأن يتخلّل، إذا أفسحنا المجال لروح يسوع. فحيث يُعطى له مكان فقط، يستطيع أن يملأه. لنا الروح، ولكن ينبغي أن يكون للروح أيضًا نحن!

وفي ارتباط بالروح القدس صارت بركة سماوية أخرى ملغًا لنا: القدوم إلى الآب بوصفنا أبناءه، والشركة معه: أي بالروح، صار لليهود والأمم معًا قدوم إلى الآب (2: 18؛ 3: 12). وهذه بركة روحية وسماوية معًا. هي روحية لأننا نختبرها بالإيمان. وهي سماوية لأنه أبونا السماوي الساكن في السماء. وفي هذا «المكان» نتقدّم إليه. إنه لأمر يحبس الأنفاس، ولا سيما من منظور خطاة سابقين، أن يُسمح لنا أن نتقدّم إلى الآب بلا خوف، في وعي القبول الكامل بوصفنا أبناء. وليست هذه لحظة التوبة إلى الله. بل هي امتياز دائم. هناك نتشارك اهتمامات مشتركة. والانشغال بآب محبة الآب واحد منها. هناك يُسمح لنا أن نبسط حياتنا، كل أفراحنا وكل آلامنا. هناك نختبر التعزية والتشجيع. هناك نجد نعمة عونًا في حينه.

والشركة مع الآب والابن يصفها بنوع خاص الرسول يوحنا في إنجيله ورسائله. فلنا الحياة الأبدية، حياة السماء، حياة بيت الآب، في الابن.

شركة المؤمنين بركة سماوية. إنهم شعب سماوي خلقه الروح. جميع المؤمنين يتشاركون الحياة نفسها ولهم الغاية نفسها. وهذا الترابط، هذه الوحدة لأولاد الله في جسد واحد وفي بيت واحد، كانت خطة الله الأزلية، ومن ثمّ السماوية. إنهم يتشاركون الحياة نفسها ومترابطون بالسماوي. وإنها لقطعة من السماء حين يحيا المؤمنون فيما بينهم شركة قلبية، ويتعاملون بعضهم مع بعض بالمحبة، ويساعد بعضهم بعضًا ويسند بعضهم بعضًا روحًا ونفسًا وجسدًا. ويستطيع إبليس أن يسلب هذه البركة، أي التمتع بهذه البركة، بإثارة الخصام في الكنيسة.

ينبغي أن تكون البركات مكسبنا العملي. فلنأخذ الأمر بجدية، ولنستكشف غنانا ونختبره. ولا نتوقف عند معرفة أننا خطاة نالوا العفو، بل لنتقدّم إلى معرفة مقامنا الخلاصي في المسيح، وبهذا المعنى أيضًا إلى أن «نثبت في الرب». فخطة إبليس أن يصرف انتباهنا عن ذلك، لكي لا نرى إلا الحرمان والصعوبات، ولا سيما بالمقارنة مع الناس من حولنا الذين ربما كانت أحوالهم أفضل، والذين يستطيعون أن يعيشوا ويفعلوا ما يشاؤون. وهذه النظرة تُنهكنا وتسلبنا الفرح الذي ينبغي أن يكون لنا في الحقيقة. فلنكن مثل إسرائيل، ولنفتح أيضًا الأرض التي صارت لنا. هذه مشيئة الله: امتلك ما وهبه لك! كن وعش ما صرّته!

الاختيار (التعيين السابق): هل هو مجرد موضوع جدال؟

منذ بداية الرسالة يقال إن أهل أفسس مختارون قبل تأسيس العالم (4: 1) ومعيّنون سابقًا للتبّي (1: 5). والاختيار والتعيين السابق مترابطان في هذا السياق: الأول يصف انتقاءً، والثاني قصّدًا محدّدًا، وإن كان يمكن أن يسبقه انتقاء.

يمكن ملء مكتبة كاملة بكتب عن هذا الموضوع. ونقطة الخلاف، كما هو معروف، هي الجدل حول إرادة الإنسان الحرة وسيادة الله. وهذا الجدل مسدود الأفق لأنه يُدار في الغالب كنقاش من نوع «إمّا - أو». فإمّا أن يكون انتقاء الله السيادي هو الذي يقود الإنسان إلى التوبة، وإمّا أن يكون القرار الحر أو الاختيار الحر للإنسان الذي يتوب حين يخاطبه الإنجيل.

علينا أن نعترف بأن هناك حقائق كتابية لا نستطيع تفسيرها، أي يصعب علينا (وعلى عقولنا) تصوّرها. وهذا يشمل مثلاً شخص يسوع، الذي كان إلهاً وإنساناً في آن واحد. ويشمل أيضاً كون الله واحداً، ومع ذلك ثلاثة أقانيم: الآب والابن والروح القدس. لكن حدود معرفتنا، حتى بوصفنا أولاد الله، تشمل أيضاً أسئلة وجودية في الحياة، مثل سؤال الألم، ربما في حياتنا نحن، وعلى أي حال الألم الذي يصيب الأبرياء في العالم.

والأمر نفسه ينطبق على موضوع الاختيار السابق. كيف يمكن أن يكون هناك مختارون وآخرون غير مختارين؟ لو اخترنا القول بانتقاء محدود من جهة الله، لحقّ لنا أن نعترض: فلماذا يُبشّر جميع الناس بالإنجيل؟ ولو اخترنا من جهة أخرى القول بأن كل إنسان يستطيع أن يتوب باختياره الحر، فلا يبقى للاختيار معنى، أو يكاد.

الاختيار لا يُغني عن قرار الإيمان من جهة الخاطئ. فالخاطئ مدعوّ إلى التوبة والإيمان رغم الاختيار. لقد تعلّمت، وأُعطيت أن أجعل ذلك قناعتي: إن مسؤولية الإنسان وعمل الله السيادي في الاختيار لا يُلغي أحدهما الآخر، بل هما قائمان معاً. لكن هذا لا يفسّر ولا يحلّ التوتر الناشئ عن تزامن عنصرين يبدوان متناقضين. وعلينا أن نحتمل هذا التوتر، كما يصحّ ذلك أيضاً في أسئلة كثيرة في حياة إيماننا الشخصية. الأمر هنا يتعلق بعظمة إلهنا، لا بعظمة عقلنا.

وقد تكون المقارنة مفيدة. فسكة الحديد تتكوّن من قضيبين يجب أن يسيرا دائماً متوازيين ولا يتقاطعان أبداً. هكذا هي سيادة الله التي بها يجري انتقاءه، وهكذا هي مسؤولية الإنسان الذي يجب أن يتوب. والسكة صورة لتاريخ الخلاص، حيث يرى هذان الجانبان دائماً. إنه سرّ إلهي، ولذلك لا يُستقصى، كيف يبلغ الله غايته، وبطريقة تجعله يتمجّد ولا يستطيع أحد أبداً أن يلومه. وعند الأفق يلتقي القضيبان. وهكذا سيكون في النهاية: سيكشف الله هذا السرّ أيضاً، ويكون الكامل قد أتى. حينئذ سنفهم عمله فهمًا أفضل بكثير (1 كورنثوس 13: 9-10).

ونجد **الجانبين** أيضاً في آلام يسوع المسيح. فمن جهة هناك المسؤولية الكاملة لكل الذين اشتركوا مباشرة أو غير مباشرة في قتل يسوع. ومن الجهة الأخرى هناك عمل الله، الذي بذل ابنه حمل الله، ذبيحة عن الخطية. هذه حكمة الله. ولن يكون للقتلة عذر بالاحتجاج بخطة الله. فهم مسؤولون مسؤولية كاملة عن قتل يسوع. ولكن من نعمة الله غير المحدودة أن القتلة أنفسهم يمكن أن ينالوا العفو على أساس ذبيحة يسوع! لقد شبّه ماكنتوش (C.H. Mackintosh) التشديد الأحادي الجانب – سواء على سيادة الله أو على مسؤولية الإنسان – بطائر له جناح واحد فقط، أو بقارب يُراد تسييره بمجداف واحد فقط. لا نستطيع أن نحلّ التوتر القائم بين هذين القطبين. فهو يبقى قائماً إلى أن نكون في النور. وبدلاً من محاولة حلّ هذا التوتر، ينبغي أن ندع اللحظة العظيمة للنعمة الإلهية تعمل فينا، وأن نمتلئ بها تعزيةً وتشجيعاً عظيمين، يجب أن يظهر أيضاً في الغيرة على الهالكين.

لقد اخترنا من العالم (يوحنا 15: 19). واختياره يفضّل ضعفاء العالم وفقراءه (1 كورنثوس 1: 27-28؛ يعقوب 2: 5). لذلك يمكننا أن نتحدث عن مشورة نعمة. ومختارو الله يتمتعون بحمايته الخاصة (رومية 8: 33). ولهم أيضاً واجبات خاصة (كولوسي 3: 12). نحن مختارون بوصفنا مخلوقات فردية (يوحنا 1: 13)، ولكن أيضاً بوصفنا الكنيسة كلها (أفسس 3: 8-11؛ 1 بطرس 2: 9). كان الرسول بولس واثقاً من اختيار أهل تسالونيكي، لأنه رأى عمل الإيمان فيهم (1 تسالونيكي 1: 4). ولم يكن له، على قدر ما نعلم، اطلاع على مشورة الله الأزلية فيمن ينال الخلاص ومن لا ينال. بل كان بالأحرى يعمل أكثر لكي ينال المختارون الخلاص (2 تيموثاوس 2: 10).

يحقّ لكل مؤمن أن يفرح بذلك وأن يستمدّ منه الشجاعة: أنه كان معروفاً في قلب الله قبل كل الأزمنة، وأن الله سبق فعرفه وأحبّه منذ ذلك الحين.

البنوة والتبني: هل هما ببساطة الشيء نفسه؟

كنا قبلاً «أبناء المعصية» (2: 2؛ 5: 6) و«أبناء الغضب» (2: 3)، أما الآن فنحن أبناء الله، إذ عُيِّنا سابقاً للتبني (1: 5)، ونحن «أولاد» الله «الأحباء» (1: 5). وهكذا نستطيع أن نعيش «كأولاد نور» (5: 8). وبوصفنا أولاداً وأبناءً لنا بالروح القدس «قدوم إلى الآب» بحرية (2: 18؛ 4: 6؛ 5: 20).

في زمن بولس كان المعمول به عند الرومان أن الطفل ملك للأب، شأنه شأن الزوجة والعبيد. وكان يصير ابناً، ومن ثمّ وارثاً، عند بلوغه سنّ الرشد. فبوصفه ابناً كان في مكانة مختلفة عن مكانة الطفل: صار ندّاً للأب وخليفته. وفي القانون الروماني كان هناك أيضاً التبني للبنوة، الذي كان يجعل المتبني وارثاً ويقطع كل الروابط العائلية القديمة إلى الأبد.

والمؤمن ابنٌ وولدٌ في الوقت نفسه. فليس الأمر أن الطفل يصير ابنًا كما في الحياة العادية، ثم لا يعود طفلًا. صحيح أن الرسول يوحنا يُظهر بالضبط عملية النمو هذه (1 يوحنا 2: 13-17)، لكن هناك أيضًا يصحّ أننا أولاد وأبناء في الوقت نفسه. وبعبارة أخرى، ينبغي أن يكون ولد الله ناضجًا روحيًا. وهاتان التسميتان، اللتان هما في الوقت نفسه من مقتنيات الإيمان، تصفان جوانب مختلفة من علاقتنا بالله أبينا.

البنوة بالولادة (كوننا أولادًا) تتحدث عن الولادة، أي الولادة الثانية، والحياة من الله، وعن الأمان والميراث (يوحنا 1: 12؛ رومية 8: 16-17، 21؛ 1 يوحنا 3: 1-2، 10؛ 4: 2). أما **التبني (كوننا أبناء)** فيتحدث عن القبول، أي التبني، وعن النضج الروحي، وكذلك عن الميراث. ومن جهة النشأة يصحّ القول: يصير المرء ولدًا لله بالولادة، وابنًا لله بالتبني.

البنوة علاقة ثقة نقول فيها لله: «يا أبا الآب!» (رومية 8: 15؛ غلاطية 4: 6). لقد تبنا الله أبناء لنفسه، يُسرّ بهم (1: 5)، ويستطيع أن يكلمهم عن خطته الأزلية (أفسس 1). وفداء أجسادنا سيكمل بنوتنا (رومية 8: 23). حينئذ يرى الله نفسه وجميع الناس ابنَ الله علينا وفينا. فضلًا عن ذلك، للبنوة صلة بتأديب الله (عبرانيين 12: 5-7)، وبالقداسة (2 كورنثوس 6: 17)، وبالحرية من الناموس (غلاطية 4: 7)، وبالمجد، الآن وفي المستقبل (عبرانيين 2: 10).

تكشف الرسالة إلى أفسس خطة الله الأزلية التي يريد أن يشارك فيها أبناءه، وتكشف مستقبل الله الذي يريد أن يشاركه – والابن الفريد للآب مركزه الأزلي – مع أبنائه (وبناته) الكثيرين المتبنيين. لا يُسمّى الرب يسوع المسيح أبدًا «ولد الله»؛ فهو لم يختبر الولادة الثانية. إنه ابن الله والآب الأزلي (2 يوحنا 3). كان كذلك دائمًا، ولم يصر كذلك بالتبني مثلنا. وهو بوصفه ابن الله المثال، «النموذج الأول» لبنوتنا: فسنكون قريبًا مشابهين صورة الابن، ليكون هو بكرًا بين إخوة كثيرين (رومية 8: 29). وهو بوصفه إنسانًا أيضًا ابن الله، لأنه بهذه الصفة حُب به من الروح القدس، من الله، لا من يوسف أبيه الشرعي.

اجلس – اسلك – اثبت: ترتيب الله

هذا عنوان أحد الكتب الكثيرة للبركة للصيني ووتشمان ني (Watchman Nee). فهو يشرح الحياة المسيحية بهذه المفاهيم انطلاقًا من الرسالة إلى أفسس. وهذا الترتيب يطابق ما تنقله إلينا الرسالة إلى أفسس. فعمل الله الخلاصي، كما يوصف في الأصحاح 2، ينقلنا من الموت الروحي إلى الحياة، وفي المسيح حتى إلى عرش الله. هناك جلس المسيح، ولأننا فيه، فهذا يصحّ علينا أيضًا. **مقامنا الخلاصي هو في المسيح، وهذا يتضمن أننا نحن أيضًا جالسون، وقد دخلنا الراحة في ملء خلاص الله.** وهو يتضمن احتسابًا كاملًا للخلاص في المسيح، إذ أكمل بالمسيح كل ما كان لازمًا لإنهاء القديم وخلق الجديد. إنه الخلاص الكامل، التام، الذي يُوهب لنا في المسيح مرة واحدة وإلى الأبد بلا رجعة. ثم ابتداءً من الأصحاح 4 من الرسالة يسري العنوان الذي في العدد 1: «أن تسلكوا كما يحقّ للدعوة التي دُعيتُم بها!» فمن الراحة، ومن الخلاص المضمون، يبدأ السلوك المسيحي. والسلوك ليس جهدًا لبلوغ هذا المقام، بل العكس تمامًا. نحن نعيش كل يوم بمعرفة راسخة أننا مقبولون مرة واحدة وإلى الأبد. نحن نعيش كمسيحيين انطلاقًا من الخلاص، لا سعيًا نحوه، ولا مع خطر أن نفقده. وبهذه المعرفة وحدها نستطيع حقًا أن نتجاوب مع المسؤولية التي وضعتنا فيها هذه الدعوة.

ثم تأتي، بوصفها «الوضعية الجسدية» الثالثة للإنسان الروحي الباطن، وضعية **الوقوف (الثبات)**. فالإنسان الروحي، بخلاف جسدنا الأرضي، يستطيع أن يتخذ الوضعيات الثلاث في آن واحد. فهو جالس دائماً مع المسيح في السماويات، ولن يترك هذا المكان أبداً! وفي الوقت نفسه نحن موجودون باستمرار في حياتنا اليومية، حيث يسلك الإنسان الجديد الذي لبسناه في الخلاص. وأخيراً يأتي الوقوف، أي الثبات. والحث على الوقوف، أي على أن نكون ثابتين غير متزعزعين، يُظهر أن العدو والعالم يمكن أن يطردانا من المقام الذي نُقلنا إليه، ومن ملء البركة الذي وُضعنا فيه. وهذا يبدو متناقضاً، لأننا أكدنا للتو أن هذا المقام لا يمكن أن يُفقد. وهذا صحيح، لكن ما يريده عدو الله، إبليس وجيش ملائكته، هو أن ننسى معرفة حقائق الخلاص هذه وملء البركة، وآلا تعود تعني لنا شيئاً، وأن نعيش مثل العالم الذي لا يعرف الله.

فهناك إذن جانبان لخلاصنا: الموضوعي والذاتي، أي الخلاص بصيغة المصدر (Heilsinfinitiv) والخلاص بصيغة الأمر (Heilsimperativ). الجانب الموضوعي من خلاصنا مصون لا يُمسّ إلى الأبد. أما الجانب الذاتي فيشمل ما نصنعه منه في حياتنا: هل نطبّقه عملياً، وهل نسلك حقاً كما يحقّ لهذه الدعوة. وإلى ذلك ينتمي «الوقوف». و«الوقوف» يعني أن يكون المقام الخلاصي، وملء الخلاص والبركة (أي التمتع بالبركة)، واقعاً عملياً في حياتنا اليومية.

كنيسة العهد الجديد: منذ متى توجد؟ (أفسس 2 + 3)

يبدو هذا السؤال للوهلة الأولى بلا مسوّغ، أو بعبارة أخرى: هل له أي أهمية أصلاً؟ بالطبع نشأت الكنيسة في أفسس بعمل بولس التبشيري. وكانت كنيسة أفسس تعرف ساعة ميلادها. لكن ساعة ميلاد الكنيسة العالمية تسبق ذلك بثلاثة عقود: ففي يوم الخمسين في أورشليم نشأت كنيسة العهد الجديد، كنيسة يسوع المسيح، بالمعمودية بالروح القدس (1 كورنثوس 12: 13). وكما أعلن يسوع نفسه، «سقي» جميع المؤمنين، أولاد الله المتفرقون، في روح واحد وبروح واحد، فارتبطوا جميعاً بالروح في جسد واحد (جسد روحي)، وصار هذا الجسد جسد المسيح، المرتبط بالرأس السماوي.

هذه الكنيسة لم تكن موجودة في العهد القديم. لم يكن ذلك ممكناً، لأن الروح القدس لم يكن ساكناً في البشر على الأرض كما هو الحال الآن مع مؤمني العهد الجديد. ولم يكن في العهد القديم بعد رأس سماوي، ولا مسيح نزل ثم صعد. ولا توجد كنيسة أو جماعة منذ آدم ينتمي إليها المؤمنون.

ولكن السؤال في العنوان لم يُجب عنه بعد إجابة كاملة. فيولس يقطع انسياب كتابته في بداية الأصحاح 3 ويدخل جملة اعتراضية. إنه يؤكد خصوصية خدمته الرسولية. فيوصفه رسول الأمم، أو الرسول إلى الأمم (غلاطية 2: 7)، نال إعلاًاً خاصاً. لقد أراه الله شيئاً واستودعه إياه لم يكن معروفاً من قبل. ويسمّي ذلك «سر المسيح». وكان قد وصفه بإيجاز في الأصحاح 2. هناك يصف كيف أن عمل الله الخلاصي لم يعد مقتصرًا على شعبه الأرضي، بل صار لجميع الناس. وفي ذلك لا يدمج الأمم في وضع شعب الله القديم – وكان ذلك سيكون بركة معتبرة – بل يصف كيف يخلق الله من الاثنين شيئاً جديداً، أي إنساناً جديداً وهيكلًا جديداً. وما لا يلفت النظر بعد في الأصحاح 2، يصفه بولس في الأصحاح 3 بكلمات مؤثرة: إن عمل الله هذا ليس ردّ فعل على حالة الأمم الهالكة كلياً، ولا أخيراً على حالة اليهود الذين صاروا مذنبين بموت المسيح؛ وليس خطة طوارئ، بل هو قصده الأزلي السيادي. فقد كانت لله قبل كل الأزمنة هذه الخطة غير العادية: أن يخلق الكنيسة، ومن جميع الناس. وفي هذه الخطة المتعلقة بالكنيسة ينبسط كل غنى المسيح.

يقول بولس إن هذا القصد لم يكن معروفاً لإنسان واحد في العهد القديم. فعبثاً يبحث المرء إذن في العهد القديم عن أقوال عن الكنيسة. صحيح أن هناك أقوالاً رمزية وتصويرية، لكنها لم يكن ممكناً أن تصير كذلك إلا بعد أن وُجدت الكنيسة.

إن كون كنيسة العهد الجديد ليست مجرد استمرار لتاريخ الله مع شعبه القديم إسرائيل أمرٌ له أهمية كبيرة. فكنيسة العهد الجديد لا تحلّ محلّ إسرائيل بوصفه شعب الله الأرضي، ولا تراث المواعيد المعطاة لإسرائيل. بل تدخل الكنيسة إلى مجرى الأحداث شيئاً جديداً، صادراً عن قصد الله الأزلي، وليس لها بهذه الصفة صلة مباشرة بتاريخ إسرائيل. فهذا التاريخ معلق فقط، متوقف لفترة محددة. وهذه الفترة هي زمن الكنيسة، الذي يستمر إلى أن تُختطف هذه الكنيسة إلى السماء. ومع إسرائيل سيبليغ الله غايته، وستتم كل مواعيده ونبؤاته عن شعبه الأرضي.

نحن نعيش في زمن يقترب فيه تاريخ كنيسة يسوع من نهايته. ولكي تتم النبؤات المعطاة لإسرائيل، لا بد أن تكون هذه الأمة أيضاً في هذه الأرض. وقد تمّ ذلك فعلاً، بينما الكنيسة المسيحية لا تزال على الأرض. نحن نعيش منذ الآن في نوع من المرحلة الانتقالية، وبكلمات الكتاب المقدس: في الأزمنة الأخيرة!

وبهذا تؤكد الرسالة إلى أهل أفسس المقام السماوي للكنيسة، وتوضح أنه لا يمكن أن يكون من يد الله شيء أعظم من الانتماء إلى هذه الهيئة الروحية التي تُسمى «جسد المسيح». فلا يقال شيء من هذا القبيل لا عن إسرائيل ولا عن أي أمة أو جماعة بشرية أخرى.

لنعد مرة أخرى بإيجاز إلى العلاقة بين كنيسة العهد الجديد وإسرائيل. ففي عمل الله استمرارية وانقطاع أيضاً. أي أن الله من جهة يمضي قدماً في تاريخ خلاصه كما وُعد في العهد القديم. فعلى سبيل المثال نالت كلمة يوثيل عن انسكاب الروح القدس تحقيقاً مسبقاً أو جزئياً في يوم الخمسين في أعمال 2. والعهد الجديد، المعلن في العهد القديم، يشمل الكنيسة. ولكن من جهة أخرى يبدأ الله مع الكنيسة أيضاً شيئاً جديداً تماماً. وهنا قد يكون استطراد قصير إلى الرسالة إلى أهل رومية مفيداً. ففي الأصحاح 11 يُشَبَّه عمل الله الخلاصي لبركة البشرية بشجرة زيتون.

شجرة الزيتون صورة لبركة الله: كيف وُعد بها، ولمن تكون، ومن يفقدها ومن يربحها، وكيف يتمتع بها في النهاية من جديد أولئك الذين كانوا قد أضاعوها قبلاً.

لا تمثّل شجرة الزيتون شعب الله تحديداً، أي إسرائيل، بل تُظهر نطاق البركة كما وُعد به الآباء الأولون وكما يتم في المسيح. كان شعب إسرائيل أولاً تحت البركة، وكانت الذروة ستكون قبول المسيح، الذي كان هو في شخصه بركة الآباء. لكن قلة فقط فعلت ذلك ونالت البركة. أما الآخرون فُقطّعوا. والقلة اتحدت بالمؤمنين من الأمم. وهؤلاء أيضاً صار لهم الآن بالإيمان نصيب في بركات الآباء. وهم أيضاً ورثة وأبناء رُوحيون لإبراهيم، أولاد الموعد. غير أن الأغصان الأصلية الطبيعية لا تبقى في عدم الإيمان. سيأتي اليوم الذي فيه تخلص وتُطعم من جديد وتعود إلى طريق الله، حيث ستختبر البركة الموعد بها قديماً بوصفها أمة، بوصفها إسرائيل العرقي.

والمؤمنون من غير اليهود لا يُدمجون بمعنى أنهم يصيرون إسرائيل. فكيف تصير الأمم إسرائيليين؟ إنهم في مقامهم الجديد يتشاركون البركات نفسها مع المؤمنين من اليهود، لكن في مقامهم الجديد ليس يهودي ولا يوناني (غلاطية 3: 28).

ولا يجوز أن نحمل صورة شجرة الزيتون أكثر مما تحتمل، حتى وإن كانت صورة رسمها الله نفسه. **فشجرة الزيتون تمثل نظام بركات الآباء، من عهد إبراهيم إلى العهد الجديد. ونمو الشجرة هو مسيرة التاريخ. وشجرة الزيتون نوع من ممر البركة عبر التاريخ، يدخله المرء بالإيمان. وهذا الممر يشمل أفكارًا كثيرة لله، ومنها الكنيسة أيضًا، ويمتد إلى نهاية تاريخه الذي يكتبه هو بنفسه في خفاء عرشه وسيادته.**

ملء الله: غاية كل الأشياء

إن غنى المسيح الذي لا يُستقصى يحطم كل السدود ويغمر العالم كله، لا ليغرق الناس كما في الطوفان، بل ليملأهم بغنى المسيح المذهل هذا، ويغرسهم في جسد المسيح، أي الكنيسة، ويجعلهم ورثة، لكي يعاينوا يوم ردّ كل شيء، حين يتقدّم المسيح ليصير رأس كل شيء في نهاية الأزمنة.

يظهر مفهوم «الملء» و«يملاء»، وكذلك مفاهيم مرتبطة بهما، مرات عديدة في هذه الرسالة:

- غنى النعمة التي **أجزلها** لنا (8: 1)

لنا إله معطاء، يهب من فيض ملئه، بسبب محبته **الكثيرة**.

- ... الكنيسة التي هي جسده، **ملء** الذي **يملاء** الكل في الكل (1: 23)

هنا للكنيسة امتياز يحبس الأنفاس: أن تبلغ بالمسيح إلى الملء. لا لأنه قد يحتاج يومًا إلى أحد، بل لأن الكنيسة جسده. فالله يأخذ الإنسان الممجد يسوع ويجعله عطية للكنيسة، ليكون رأس الكنيسة. والكنيسة بدورها تصير جسده، فيكون بذلك كاملاً **بوصفه إنسانًا** (لا بوصفه الله الابن). وصورة أخرى من الأصحاح 5 توضح أكثر ما يعنيه ذلك: المسيح يتّحد بالكنيسة كما يصير الرجل والمرأة جسدًا واحدًا، كما كان آدم وحواء قديمًا. فبالكنيسة يبلغ المسيح الملء، وسنبقى في هذا الاتحاد إلى الأبد. وهكذا سيظهر المسيح نفسه دائمًا، وسيبقى دائمًا في هذا الاتحاد بالكنيسة، من البشر والملائكة والله. وسيملاء الكل بوصفه الرأس مع جسده. والكون كله س يحمل هذا الختم: ختم حضوره في كل مكان وختم بركته.

- ... لكي **تمتلئوا إلى كل ملء الله** (3: 19)

هذه غاية الله وبركته لنا. ففي الله وحده نبلغ الملء والراحة. ولا تتمنى شيئًا آخر سوى أن نمتلئ من قوته، وأن يحلّ المسيح في قلوبنا، وأن نعرف محبة المسيح. الله يريد أن يصنع عندنا مسكنًا، وأن يغيّر حياتنا، وأن يجعل ملأه يفيض من خلالنا إلى الآخرين. لن نبلغ على الأرض كل ملء الله نفسه، لكنه بدأ منذ الآن.

وملء الله ليس شيئًا غير شخصي، كما يُعتقد في بعض الديانات، بل هو الله الواحد المثلث الأقانيم نفسه، كما أعلن نفسه في يسوع وبالكتاب المقدس.

- الذي نزل هو الذي صعد أيضًا فوق جميع السماوات، **لكي يملأ الكل!** (4: 10)

منذ الآن يملأ الكل؛ فالعالم غير المنظور، أي السماويات، يتخلّله انتصار المسيح. وحتى إن كانت القوى لا تزال تعيثُ فسادًا، فإن انتصار المسيح يُبرهن لها من خلال كنيسة مقدّية. أيامها معدودة، وعن قريب لن يقف شيء بعد في طريق امتلاء كل ما هو مخلوق بابن الله.

- ... إلى إنسان كامل (بالغ)، إلى قياس **قائمة ملء المسيح** (4: 13)

ليس المؤمن الفرد وحده هو الذي يجد غايته في ملء الله. فالكنيسة كلها موضوعة بالقدر نفسه في عملية النمو الديناميكية هذه. وهنا أيضًا ليست الغاية أقل من ملء المسيح نفسه. وملء المسيح يعني أنه يملأ الكنيسة، ويتخللها، ويجهزها، ويقودها، ويباركها، ويبلغ بها إلى الغاية في المجد.

• ... **امتثلوا بالروح!** (5: 18)

هذه الدعوة إلى أن ندع شيئًا يحدث لنا ينبغي أن تدفعنا إلى أن نُزيل من حياتنا كل ما ينافس الله وأهدافه. فهو لا يستطيع أن يملأنا إلا إذا فرغنا من أنفسنا ومن رغباتنا الخاصة. وحينئذ يستطيع أن يأخذ مداه الكامل، وأن يعطي سلطانًا وتأهيلًا لأي خدمة تُدعى إليها.

هذه الرسالة مملوءة بغنى المسيح. وهذا الغنى يملؤنا من الله، ومن المسيح، ومن الروح. وهكذا من جهة يُروى عطش حياتنا الوجودي (مزمو 42: 1-2؛ يوحنا 4: 13-14؛ 7: 37-39)، ومن جهة أخرى يبلغ الله بذلك غايته معنا، أي أننا لا نصير متمثلين بالله إلا بوصفنا مملوئين من الله.

رموز العهد القديم والرسالة إلى أفسس: هل هذا ممكن حقًا؟

يقدم لنا العهد القديم مثالًا مُقنعًا ومُوضِّحًا لتعليم هذه الرسالة. ففي هذا التعليم يوصف المؤمنون بأنهم قد نُقلوا منذ الآن إلى السماء. وهذا مُصوّر رمزيًا مسبقًا في دخول شعب إسرائيل إلى كنعان. كانت هذه الأرض الموعودة خصبة جدًا، كما شهد بذلك الجواسيس. لكن كان فيها أيضًا أعداء أقوياء. وهذا يقابل الأماكن السماوية التي دخلناها بموت المسيح وقيامته وصعوده إلى السماء. والأعداء الأقوياء يقابلون الرياسات والسلاطين الشريرة التي شرحناها من قبل. ونهر الأردن صورة للموت الذي كان لا بد من عبوره للوصول إلى الأرض. ويشوع رمز للرب يسوع بوصفه المنتصر الجالس على عرش الله (أفسس 1).

ويتضح من هذا الرمز كيف أن هذا الوضع واقع حاضروحي. فالأماكن السماوية ليست بعيدة، لأن الحرب الروحية، وكذلك التمتع بالبركة السماوية، يجريان في حياتنا، وفي الكنيسة، وفي مكان عملنا، وفي بيوتنا. لذلك لا يجوز أن نفكر هذا التعليم عن الأماكن السماوية تفسيرًا جغرافيًا أو كونيًا، بل روحيًا. فالسماء، من الناحية العملية تمامًا، ليست بعيدة؛ إنها قريبة قُرب المسيح نفسه الذي يسكن ويعمل في قلبي. لذلك يصلي بولس أيضًا في قلب الرسالة «ليحلّ المسيح بالإيمان في قلوبنا» (3: 17-19).

وأخيرًا نظرة شاملة إلى مقامنا المسيحي وحياتنا في ضوء الرموز: لقد خلصنا من العالم (مصر) بموت يسوع (البحر الأحمر) وأُتي بنا إلى البرية. فالعالم الذي نحن فيه صار لنا برية. ولسنا ننتمي إليه حقًا، لأن يسوع يقول إننا لسنا من العالم. نحن في رحلة، في طريق الإيمان نحو الغاية، الملكوت السماوي لربنا. ولكن في الوقت نفسه يصحّ أننا بموت المسيح وقيامته قد صرنا فيه في الأماكن (المناطق) السماوية. بالنسبة إلى إسرائيل لم يكن ممكنًا إلا أن ينطبق أمر واحد، أما بالنسبة إلينا فيصحّ الأمران معًا، أي البرية وكنعان في آن واحد. وبالمعنى المجازي أقدامنا في رمل البرية، ورأسنا، أو بالأحرى قلبنا، في السماء (حيث كنزنا).

المسيح الرأس: الوحدة والوظيفة والتمثيل

في هذه الرسالة تُعرض صفة المسيح بوصفه رأسًا بطريقتين على الأقل: 1. بوصفه رأسًا فوق كل الأشياء المخلوقة (1: 10، 22)، وبوصفه رأس الجسد، أي كنيسته (1: 23).

للرأس (وهو في اليونانية ليس شيئاً آخر سوى «الرأس» البيولوجي للإنسان) جوانب مختلفة:

1. الوحدة: وحدة الرأس والجسد. فالصورة تتحدث عن وحدة عضوية حيّة.
2. الوظيفة: في الوحدة العضوية للإنسان يوضع الرأس والجسد في نظام معيّن، ولكل جزء وظائفه ومهامّه المحددة. وفي ذلك يكمن أيضاً جانب التسلسل (الهرمية)، حيث يكون الرأس في الأعلى.
3. التمثيل: من الإنسان يبقى في ذاكرتنا في الغالب وجهه. فالرأس يمثّل الإنسان كله (مثلاً صورة جواز السفر). ورأس الدولة، أي الرئيس الاتحادي (Bundespräsident)، يتولّى مهام التمثيل أمام شعوب العالم الأخرى.

ويمكن أن نجد هذه الجوانب الثلاثة من جديد في كل موضع تقريباً يُذكر فيه المسيح رأساً.

ومن المثير للاهتمام كيف كان المصطلح اليوناني (kephale κεφαλή) يُستعمل آنذاك. فإلى جانب رأس الإنسان والحيوان، كان يدلّ على ما هو بارز، وعلى ما يقف في المقام الأول أو في الموضع الأعلى (مثلاً أفسس 5: 23 وغيره). وكانت الكلمة تُستعمل كذلك لمصبّ النهر، ولمنبع، ولأصل شيء ما، أو لبداية حقبة زمنية.

في العهد القديم يُسمّى الآباء رؤوساً لعائلاتهم (مثلاً العدد 1: 4).

وقد جعل الله إسرائيل ليكون رأساً لجميع الأمم، أي ليشغل مكانة بارزة فوق الشعوب أو في وسطها (التثنية 28: 13). والمقصود هنا ليس مكانة هرمية بقدر ما هو أن يكون نوراً للشعوب في ما يخص الله. وفي العهد الجديد يُنقل مصطلح «الرأس» إلى المسيح. وحين يُسمّى رأساً فهو كذلك دائماً بوصفه إنساناً، لأنه بوصفه رأساً يقف دائماً في علاقة بالبشر. إنه رأس بوصفه إنساناً مُمجّداً جالساً على العرش، على أساس عمل الفداء الذي أكمله.

- هو «رأس الزاوية»، أي حجر الزاوية الذي يُضبط عليه كل شيء ويجب أن يُضبط عليه. إنه يمسك كل شيء معاً. لقد جعله الله كذلك بعد أن رفض البتّاون الحجر، أي المسيح. وهكذا جعله الله المصدر الوحيد للخلاص للعالم كله. ليس بأحد غيره الخلاص، لأن ليس اسم آخر تحت السماء (أعمال 4: 11-12).
- في رومية 5 ابتداءً من العدد 12 نجد المسيح أيضاً رأساً في مقابل آدم. وإن لم يكن الحديث هناك حرفياً عن رأس، فبالإمكان أن نتبيّن أن آدم هو الرأس، أي بداية الإنسان الساقط في الخطية وأصله. والمسيح هو بداية جنس بشري جديد مفدي ومُنشئه.
- المسيح هو رأس الجسد، الكنيسة/الجماعة. فبالروح القدس اعتمد جميع المؤمنين في يوم الخمسين إلى جسد واحد (1 كورنثوس 12: 13)، وارتبطوا بالمسيح المُمجّد في السماء، رأس الجسد. والمسيح، بوصفه رأس الجسد، هو المصدر السماوي للكنيسة على الأرض، الذي تنال منه كل ما تحتاج إليه لتؤدّي وظيفتها على الأرض. ودور الرأس ليس التسلّط على الجسد، بل الإمداد والإعالة والرعاية والمحبة. وهذا بالضبط هو المثال أيضاً للرجل والمرأة في زواجهما. فرأسي لا يتسلّط على جسدي، وجسدي لا يرغم على طاعة دماغي. وجوهر الرأس والجسد هو وحدة الكائن الحي، والعمل التلقائي للكل. فأوامر الدماغ تُنفّذ تلقائياً، بلا إكراه ولا إخضاع. ولأن الدماغ هو الذي يوجّه، فللرأس أهمية خاصة، ومع ذلك فلا الرأس شيء بدون الجسد، ولا الجسد شيء بدون الرأس، كما قال بولس مرة عن الرجل والمرأة. والكنيسة تمثّل

رأسها السماوي، المسيح، هنا على الأرض. وبالقدر نفسه تكون الكنيسة ممثلة بالمسيح في السماء أمام الله والملائكة.

وتظهر الجوانب الثلاثة للرأس على كل شيء في الملكوت الألفي الآتي وفي الخليقة الجديدة على النحو التالي:

1. الوحدة: لا يعود هناك انفصال ولا انكسار داخل الخليقة، ولا انفصال للخليقة عن الله. فبدون الرأس كانت كل الأشياء كأنها ميتة، غير نافعة لله وبلا قيمة. وفي ارتباط ووحدة مع المسيح، مرتبطة به كما يرتبط الرأس بالجسد، يُستعاد كل شيء ويُردّ إلى الله.

2. الوظيفة: لأن وحدة الرأس والجسد تتيح تأثيرًا كاملاً يبلغ كل زوايا الوجود، فإن كل شيء سيكون مطبوعًا بطابع الرب يسوع. وكل شيء سيعمل كما يريد هو.

وبوصفه رأسًا لكل شيء سيجعل، كمصبّ نهر، تيارًا من البركة لا يُوقَف، عريضًا وعميقًا، يتدفق في كل الأشياء؛ وسيُعمر كل شيء في ملء عظمة الرب يسوع المسيح وبركته.

3. التمثيل: سيأتي بكل الأشياء إلى الله في انسجام كامل. وحينئذ يتمجد الله تمجيدًا كاملاً وإلى الأبد. وستنال كل الأشياء حينئذ مسرة الله بالمسيح، الذي له مسرة الله غير المحدودة. وكما يرى الله مسيحه، هكذا سينظر حينئذ إلى كل الأشياء. وهذه الحالة التي لم يُعرف لها مثل لن تكون لها نهاية. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدًا.

العطايا الخمس: رسل، وأنبياء، ومبشّرون، ورعاة، ومعلّمون – هل لا تزال قائمة اليوم؟

من محاور الرسالة إلى أفسس الكنيسة بوصفها جسد المسيح. وكون هذا الجسد لا يزال موجودًا اليوم في تحقّقه العملي (وإن كان للأسف لم يعد منظورًا في وحدة جسد واحد) بعد ألفي سنة من تاريخ الكنيسة، يرجع سببه إلى أن المسيح المُمجد أعطى جسده عطايا. وهذه العطايا تبرهن أن المسيح هو رأس الكنيسة المُمجد.

ومن المثير للاهتمام أن الحديث هنا عن «نوعين» من العطايا: 1. لكل واحد موهبة، وهذا أمر بالغ الأهمية (4: 7)، و2. هناك مؤمنون هم بأشخاصهم عطايا من المسيح للكنيسة. وهذه العطايا أناسٌ لهم أهلية، يتيبّنها كل من حولهم، أهلية الرسول، والنبّي، والمبشّر، والراعي، والمعلّم.

وفي هذا السياق ينبغي طبعًا الرجوع أيضًا إلى النصّين الرئيسيين الآخرين في هذا الموضوع، أي 1 كورنثوس 12 ورومية 12، والمقارنة بينها. فهناك نجد مواهب نعمة أكثر من المذكورة هنا. لكن هذه تبدو أهم المواهب أو ربما أعظمها، ولا سيما حين تُطابق هنا مباشرة مع الشخص.

يمكن أن نتصوّر جيدًا ما تعنيه هذه العطايا وفيّمْ أهليتها. لكن يبقى السؤال: هل لا يزال المسيح يهب الكنيسة هذه العطايا، أي العطايا الخمس كلها، اليوم أيضًا؟

يقال عمومًا إن العطيتين الأوليين لم تعودا تُعطيان. فالرسل كانوا عددًا ثابتًا: 12 زائد 1. ولم يعد هناك أنبياء أيضًا، لأن قانون الكتاب المقدس قد اكتمل وصار في متناول كل المسيحيين تقريبًا. أما عمل الرسل، أو عطيتهم للكنيسة، فلا يزال حاضرًا حتى اليوم في كتاباتهم، أي العهد الجديد.

ورأي آخر يعتقد أن العطايا الخمس كلها لا تزال تُوهب اليوم. فمن حيث المبدأ يُقرأ هذا القول أيضًا على أنه غير مرتبط بزمان وصالح دائمًا. والكنيسة تعمل حتى اليوم بمعونة هذه العطايا الخمس (من الأشخاص) ومواهب النعمة التي لكل عضو.

إن كون برنابا يُسمّى مرة رسولًا في نفس واحد مع بولس (أعمال 14: 14)، وكون بولس يتحدث عن عدة رسل كانوا معه في تسالونيكي (1 تسالونيكي 2: 6)، وكون أندرونكوس ويونياس ربما يُحسبان من الرسل (رومية 16: 7)، يسمح بالاستنتاج أنه لم يكن هناك 1+12 رسولًا فقط.

وفي هذا الرأي ليس الرسل اليوم بالطبع أولئك الذين يواصلون خطًا رسوليًا، كما هو الحال مثلًا في الكنيسة الرسولية الجديدة. ولم يَز رسل اليوم يسوع بعيونهم الجسدية. ورسل الخروف الاثنا عشر ستكون لهم إلى الأبد مكانة خاصة، أو ذكر خاص، في أساس المدينة الأبدية. وليس للرسل اليوم الأهمية التي كانت لهم في القرن الأول، لكن خدمتهم لها مع ذلك سمات مشابهة.

وأنا أعدّ من رسل اليوم أولئك الذين يقفون في بداية النهضة، والذين يؤسسون الكنائس، والذين هم قادة المسيحية. بالتأكيد ليس لهم سلطان رسولي، لكن لهم دورًا بالغ الأهمية حين يتعلق الأمر بنموّ الجسد. وإليكم في ذلك اقتباسًا (توماس يّتل – Thomas Jettel): «الكلمة (apostolos ἀπόστολος): رسول، مبعوث) تُستعمل في العهد الجديد بمعانٍ مختلفة. فقد عيّّن يسوع الاثني عشر رسله الأوائل. وبولس أيضًا عيّنه الرب مباشرة رسولًا خاصًا (غلاطية 1: 2 كورنثوس 12: 12). ويبدو أن يعقوب أيضًا كانت له مكانة خاصة (1 كورنثوس 15: 7؛ غلاطية 1: 19). هؤلاء كانوا رسلًا وضعوا الأساس (أفسس 2: 20؛ 3: 5)، رسلًا من الطراز الأول، إن صحّ التعبير، ومن الدرجة الأولى؛ تلقوا رسالتهم مباشرة من الرب. لكن العهد الجديد لا يحصر مفهوم الرسول فيهم. فآخرون مثل برنابا (أعمال 14: 4؛ قارن غلاطية 2: 8-9)، وسيلّا وتيموثاوس (أعمال 17: 1، 4؛ 1 تسالونيكي 1: 1-2؛ قارن 2: 6-7)، وتيطس (تيطس 1: 5؛ 3: 12) يُسمّون «رسلًا» بمعنى أوسع. لم تكن لهم الصفة نفسها ولا السلطان نفسه، لكنهم مارسوا نشاطًا مشابهًا لنشاط الرسل الذين وضعوا الأساس. كانوا مبشّرين ومعلّمين، يرشدون الجماعات الجديدة إلى الطريق، ويتنقلون معلّمين. وكان نشاطهم نشاطًا قياديًا، لكنه غير مرتبط بمكان واحد. ويمكن أن نسَمّي هذه الفئة أيضًا "المعلّمين المرسلين"».

والأمر نفسه يصحّ على الأنبياء. فنحن لا نعرف عن هذه العطية إلا القليل، سوى أن النصوص الثلاثة المعنية (بالمواهب) (أفسس 4، 1 كورنثوس 12، رومية 12) تشملها جميعًا. أما أنبياء العهد الجديد فلا يُذكرون فيما عدا ذلك إلا هنا:

أعمال 13: 1: وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلّمون: برنابا، وسمعان الذي يُدعى نيجر، ولوكيوس القبرواني، ومناين الذي تربّى مع هيرودس رئيس الربع، وشاول.

أعمال 15: 32: ويهوذا وسيلّا، إذ كانا هما أيضًا نبيّين، وعظا الإخوة بكلام كثير وشدّداهم.

وكان أنبياء القرن الأول أيضًا أولئك الذين كانوا، ما دام العهد الجديد لم يكن قد وُجد بعد، يُعلنون الحقائق، أي يستطيعون تبليغها. ويمكن أيضًا أن يُسمّى كذلك أولئك الذين لم يكونوا رسلًا، لكن رسائلهم دخلت العهد الجديد، مثل يعقوب ويهوذا. وبعد اكتمال قانون العهد الجديد لم تعد هناك حاجة اليوم إلى هذه الخدمة، ولذلك لم تعد هذه الخدمة، أي خدمة كتابة الأسفار الموحى بها، موجودة.

أما أنبياء اليوم فهم أولئك القادرون – وبهذا يشبهون أنبياء العهد القديم – على تمييز روح العصر وكشفه، والذين يكشفون الاتجاهات الخطيرة في المسيحية ويشجبونها. ولذلك فهم أيضًا مزعجون، لأنهم يضعون الإصبع على الجرح. خدمتهم هي الإنذار والوعظ. لا يتنبؤون بأحداث مستقبلية، ولا يعلنون حقائق جديدة. فهذا لم يكن، ولا هو، خدمة أنبياء العهد الجديد، ومن ثمّ أيامنا أيضًا.

الإنسان الجديد: أين وكيف يظهر

لا الأديان ولا التربية، ولا السياسة ولا علم الوراثة، أنتجت إنسانًا جديدًا، وإن جرت المحاولة مرارًا. ومن يحاول أن يفكر تفكيرًا موضوعيًا في الإنسان، في ما كان عليه دائمًا وما يميّزه اليوم وما يُحدثه من ضرر، فلا بد أن يصل إلى ضرورة وجود إنسان جديد.

إن الله الخالق لم «يُصلح» ولم «يُرمّم» الإنسان الساقط في الخطية والعائش فيها. ولم يستطع الناموس أيضًا أن يحقق ذلك، بل اكتفى بتأكيد أنه لا سبيل إلى إصلاحه. فالإنسان العتيق لم يعد ممكنًا تحسينه. وصليب الجلجثة هو نهاية الإنسان العتيق. فالمسيح يحمل عوضًا عن الدينونة وموت الإنسان العتيق. وفي قيامة المسيح يخرج إنسان جديد – نحن صنعته المُتقنة، خليفة جديدة – مخلوق بحسب الله نفسه (4: 20-24؛ رومية 6: 1-11؛ غلاطية 5: 16-26). وهذا يخصّ أولًا، وما دمنا نعيش على الأرض، قلبتنا، أي الإنسان الباطن، وليس بعدُ جسده. إنه يخصّ تفكير الإنسان، وموقفه من الحياة، وإرادته، وكذلك مشاعره. لكن الجديد، من حيث أثره العملي، لا يكون حاضرًا فورًا كاملاً تمامًا، كأننا صرنا كاملين دفعة واحدة. فالجديد يوضع فينا كبذرة يجب أن تنمو. وقوة الروح والكلمة الحيّة، التي بها وُلدنا ثانية، تُحدث تغييرًا دائمًا ومستمرًا إلى صورة يسوع. ويتحدث بولس إلى أهل أفسس عن «التجدّد بروح ذهنكم». ولعملية التغيير هذه جانبان: فهي من جهة عمل الله وقوته، التي يجب أن نتكل عليها لكي نختبر عملية التجديد هذه. ولكن من جهة أخرى نُحمّل المسؤولية كاملة، ونُدعى إلى أن نعمل ونتصرف ونقرر بما يليق بهذا الإنسان الجديد. وبكلمات أخرى: نبذل الجهد كما لو كان الأمر متوقعًا علينا، ونحن في ذلك نتكل على الله الذي بدون عمله لا ينجح شيء. وبهذا المعنى يقول يسوع، الكرمة الحقيقية، حين يتعلق الأمر بالثمر لله: «بدوني، أو خارجًا عني، لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا».

فالإنسان الجديد إذن، ابتداءً من الولادة الثانية، هو شخصيتي الجديدة، ولكن في محيط قديم. ليس محيطي هو الذي تغيّر، بل أنا الذي تغيّرت، وأتغيّر باستمرار في عملية نموّ روحي.

وهكذا يصف بولس الحياة الجديدة كما تظهر في العلاقات الحياتية أو الاجتماعية المعروفة لنا:

الأصحاح 4: 1 - 16: في الكنيسة، في جسد المسيح

هنا تحرص الحياة الجديدة على إنكار الذات، وعلى ألا تفرض نفسها في حياة الكنيسة ولا تتجاوز الآخرين. فينبغي أن يخدم السلوكُ الحفاظ على الوحدة العملية للكنيسة. وبالقدر نفسه يُشرك كل عضو في المسؤولية عن تعزيز النمو الروحي للكنيسة، لأن كل واحد نال من المسيح موهبة.

الأصحاح 4: 17 - 24: الفرق الجوهرى عن العالم

لا يمكن أن يكون هناك تناقض أكبر من التناقض بين حياة في العالم، بعيدة عن الله، وحياة من الله، في شركة البنوة مع الآب السماوي. فامتلاء المعنى والدوام في هاتين الصورتين من الحياة يختلفان كاختلاف النهار عن الليل.

الأصحاح 4: 25 – 32: وصايا للحياة الجديدة: الكلام، العمل، الغفران

يبدأ بولس في إظهار تفاصيل مختلفة عن كيف تشقّ الحياة الجديدة طريقها في الحياة اليومية. فالغضب والصياح، والسخط والمرارة، لا يمكن أن تنتمي إلا إلى حياة قديمة لا يوجد فيها معنى حقيقي ولا محبة. والسركة ينبغي أن تكون من الماضي، وكلامنا إيجابي وبنّاء. لا يجذب إلى أسفل، بل إلى أعلى.

الأصحاح 5: 1-14: متمثلون بالله: اليّكات، الجنسية، النور / الظلمة

في عالم بلا إله ينبغي ألا نكون أقل من متمثلين بالله. فالنكات القذرة، والتلذذ بقذارة جيل معوجّ ملتو ووحله، لم يعد يُسمع منّا. والجنسانية عطية من الله ثمينة، وفي الوقت نفسه هشّة جدًّا. ولم تعد هناك شركة قلبية طوعية مع العالم. بل نحن، بوصفنا أنوارًا في العالم، علامات ترشد إلى النور وإلى النهار.

الأصحاح 5: 15 – 21: افتداء الوقت، الكحول، العبادة في الكنيسة

يهب الله لحظات خاصة ليُظهر نفسه من خلالنا، أعمالًا سبق فأعدّها لكي نسلّك فيها. وأولاد الله وأولاد النور لا يعيشون بلا تخطيط وبسلبية. إنهم يستثمرون الوقت المتاح، ويتصرفون بتروّ وبعقل وفهم قد تجددّا فيهم. إنهم يعملون مشيئة الله. ولا يُفرضون في شرب الكحول الذي يجعل الإنسان خاملًا غير صاِح ولا يقَرِّبه من الرب.

بدلًا من مادة مُسكرّة ينبغي أن يملأنا الروح ويغمرنا كليًا. وهكذا نستطيع حينئذ أن نكون نافعين للآخرين في الكنيسة أيضًا. وهكذا يصير ممكنًا، من قلب ممتلئ، تسبيح حقيقي نابع من القلب وشكر. وهذا لا يبنينا نحن فقط، بل كل من يسمعه.

الأصحاح 5: 22 – 33: زواج الرجل والمرأة – المسيح والكنيسة

الزواج مهمة العمر، لا يعمل جيدًا من تلقاء نفسه أو تلقائيًا. في ذلك الزمان كانت المرأة ملكًا، تُفرض عليها الطاعة المطلقة. ولم تكن في العالم القديم وصية للرجال بأن يحبوا نساءهم. لكن نور الإنجيل يُخرج الزوجات من هذا الوضع: على الرجال أن يحبوا نساءهم، وذلك بحسب معيار لا يمكن تجاوزه: كما أحبّ المسيح الكنيسة.

أما النساء فلم يكن عليهن الآن أن يظنن أنهن يستطعن التمرّد على الرجل في نور الإنجيل وحرّيته. بل كان عليهن أيضًا أن يطبّقن على أنفسهن مثال المسيح والكنيسة: فكما تخضع الكنيسة بوصفها الجسد للرأس (المسيح)، كذلك النساء لرجالهن. وكل هذا السلوك في التمثّل بالمسيح، فيما يخص الرجال والنساء، يجري طوعًا وبلا إكراه، عن اقتناع قلوب متجدّدة.

الأصحاح 6: 1-4: الأولاد والآباء

على الأولاد، مؤمنين كانوا أم لا، أن يطيعوا الوالدين. وسيكون ذلك بركة لهم. فالوصية السادسة من الكلمات العشر المعطاة لإسرائيل سارية: غير مرتبطة بزمان وصالحة دائمًا، وصية للحياة ولبركة الوالدين والأولاد.

على الآباء، أو الوالدين، أن يتعاملوا مع الأولاد بمحبة ولكن بحزم، لكي تكون لهم الشجاعة وينموا، ويقبلوا الرب ويتبعوه، وببساطة يبلغوا الرشد، ليعيشوا يومًا مستقلّين ويستطيعوا بدورهم أن يؤسّسوا عائلات.

الأصحاح 6: 5 – 9: علاقات العمل: السادة - العبيد، مؤمن - غير مؤمن

مع أن العبودية بهذه الصورة لم تعد موجودة اليوم، وقد أُلغيت بفضل أثر الإنجيل، فإننا نستخلص من هذه الوصايا مبادئ يمكن تطبيقها أيضًا على علاقات العمل اليوم.

والمبدأ الأهم هو في الوقت نفسه بسيط جدًا: كل مسيحي مسؤول أولاً أمام سيده السماوي. فنحن لا نريد أن نرضي الناس، بل ربنا الأبدى. لكن إرضاءه سيعني في أغلب الحالات طاعة السيد الأرضي. وليس النقد الدائم ولا الضغينة في القلب تجاه المدير هما ما يميّز المسيحي. هذا موضوع معقد، لكن المسيحي يفكر كيف يمكن أن يكون هنا أيضًا شهادة للرب وللإنجيل.

الأصحاح 6: 10 – 20: صراع روحي على كل جبهة

وأخيرًا، نداءً وخلصًا لكل ما قيل حتى الآن عن حياة الإيمان العملية، يشير بولس إلى أن الجبهة الروحية غير المنظورة تمتد عبر كل مجالات الحياة وكل مواقفها. كثير من المسيحيين لا يدركون الخطر الآتي من العالم غير المنظور، ويعيشون كأن إبليس غير موجود. وكأن بولس يقول إنه لا يستطيع أن يتناول في هذه الرسالة كل موقف من مواقف الحياة. لكنه في المقابل يُرينا سلاح الله الكامل، الذي به نستطيع أن نثبت في الرب في كل موقف من مواقف الحياة وفي كل خطر.

الرياسات والسلطين: الشرير والعالم السماوي غير المنظور

لا توجد رسالة في العهد الجديد ترد فيها بهذه الكثرة مفاهيم تدلّ على قوى روحية شخصية في العالم غير المنظور. فرسائل أخرى، ومنها رسائل لبولس، تتحدث عن ذلك أيضًا (مثلًا رومية 8: 38؛ كولوسي 1: 16؛ 2: 15؛ 1 بطرس 3: 22)، لكن ليس بهذا التواتر، وهذه سمة مميّزة لهذه الرسالة.

لنترك الكلام لبولس، ولنقتبس كل النصوص التي تذكر هذه الكائنات:

- ... وأجلسه (المسيح) عن يمينه في السماويات، فوق كل **رياسة** (πάσης ἀρχῆς **pases arches**) و**سلطان** (ἐξουσίας **exousias**) و**وقوة** (δυνάμεως **dunameos**) و**سيادة** (κυριότητος **kuriotetos**) وكل **اسم** (**onoma**) يُسمّى، ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضًا، وأخضع كل شيء تحت قدميه ...، 1: 21-22.

لقد رُفِعَ المسيح بوصفه إنسانًا فوق كل شخصية روحية يمكن تصوّرها، كلها وكل واحدة منها. هذه الكائنات تشغل مكانة عالية في خليفة الله، لكن مكانة المسيح أسمى منها، لأنها على عرش العليّ، عن يمين الله.

- ... حسب **رئيس سلطان الهواء، الروح** الذي يعمل الآن في أبناء المعصية ...، 2: 2

تمارس القوى نفوذًا ملموسًا وهائلًا على مجريات العالم. فهي لا تؤثر في مراكز الحكم فحسب، بل في الإنسان العادي أيضًا، أي في كل الذين هم أموات روحيًا، ومن ثمّ واقعون تحت رحمة القوى. وهنا يتّضح بجلاء أنها معادية لله، أي إبليسية. وإن كان بين هذه الكائنات رئيس، فلا يمكن أن يكون إلا إبليس. وهذا ما يقوله الكتاب أيضًا: متى 25: 41.

- ... لكي يُعرّف الآن عند **الرؤساء والسلطين** في السماويات، بواسطة الكنيسة، بحكمة الله المتنوّعة، ...

10: 3

يُقدّم للعالم غير المنظور كله عملُ الله الخلاصي ونتيجته، أي الكنيسة، إعلانًا لحكمة الله. فلا بد أن تندهش القوى وأن تستسلم صاغرةً وهي تصرّ بأسنانها. فالنصر هو لمسيحنا، والكنيسة «غنيمته»؛ أما القوى فقد خسرت.

• الذي منه تُسمّى كل **عشيرة** في السماوات وعلى الأرض، ... 3: 15

وإن لم يكن الحديث هنا للوهلة الأولى عن هذه القوى، فإنه يتضح هنا أنها هي أيضًا مخلوقات، وأنها تنال اسمها من الخالق. وهذا يوضّح لأهل أفسس أن هذه القوى ليست مستقلة، وليست آلهة (كلّية) القدرة، بل خاضعة للخالق. وفي هذا السياق من المثير للاهتمام أنه كان من المهم في السحر أن تُخاطب الأرواح أو تُستحضر بأسمائها.

• «إذ صعد إلى العلاء سبى **سبيًا** ... 4: 8

وهنا أيضًا ليست الصلة واضحة مباشرة. لكن الأسر كان قائمًا بسلطان الظلمة، الذي حطّمه المسيح بالصليب والقيامة. وهنا يكون صعود يسوع إلى السماء موكب انتصار بعد عمل فداء أكمل وانتصر.

• ... لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكاييد (**μεθοδεῖας methodeia**) إبليس (**διδάβολος diabolos**). فإن مصارعنا ليست مع دم ولحم، بل مع **الرؤساء (ἀρχαί archai)**، مع **السلطين (ἐξουσίαις)**، مع **ولاة العالم (κοσμοκράτωρ kosmokrator)** على هذه الظلمة (**σκοτός skotos**)، مع **أجناد الشر الروحية (πνευματικὰ τῆς πονηρίας pneumatika tes ponerias)** في السماويات. 6: 11-12

هنا يُذكر إبليس لأول مرة في ارتباط بالقوى. إنه الأعلى، «الجنرال» لهذه القوى (قارن: متى 12: 22 وما بعده). وبهذا تُنزع الأقنعة عن القوى، ويّضح أنها دائمًا أعداء، وأنها تفعل كل شيء لتعطيل عمل الله فينا وفي العالم كله والإضرار به.

كيف صار هذا الموضوع محوريًا في هذه الرسالة؟ لم يكن أهل أفسس يعيشون، مثلنا اليوم، في زمن «مستتير» حديث أو ما بعد حديث. فحياتهم، ومجتمع ذلك الزمان، في تلك المدينة، في آسيا الصغرى، في الإمبراطورية الرومانية، كانت مطبوعة بعبادات الأوثان. وكانت أفسس مشبعة بالدين حتى جميع طبقات المجتمع التي جاء منها الناس إلى الإيمان بالمسيح. وكانت الحياة محكومة بعبادة أرتاميس، التي كان الرومان يسمونها ديانا (انظر الصورة). وفضلاً عن ذلك كانت أفسس مركزًا للسحر والممارسات الغيبية. ويقول ميتزغر (B.M. Metzger): «من بين كل المدن اليونانية الرومانية، أفسس هي الثالثة حجمًا في الإمبراطورية، وهي بفارق كبير أكثر الأماكن جاذبيةً للسحرة والمشعوذين والدجالين من كل نوع». ويروي لوقا (انظر أدناه) أن كمية كبيرة من كتب السحر هذه، بما فيها من صيغ الاستحضار ومحتويات غيبية، أحرقتها الذين آمنوا بالإنجيل. وكان لليهود أيضًا سحرهم، وكان لهم نصيب في هذه الظلمة الروحية. وكان الخلط بين العبادات اليهودية والهلينية والرومانية أمرًا مألوفًا (التوفيقية الدينية). ويُضاف إلى ذلك التنجيم، أي الإيمان بالقدر الذي تحدّه النجوم. كانت هذه الأمور تتحكّم في الحياة، وكانت مُهدّدة، حقيقية، مُطالبية. ولم يكن أحد متحرّجًا منها حقًا. وكانت عبادة الأوثان هذه رأس الجسر، الوسيلة التي استخدمتها القوى التي يذكرها بولس لكي تبلغ تأثيرًا مباشرًا في أهل أفسس، وفي الناس عمومًا. وكانت هذه القوى تُكلّف، بمخاطبتها بأسمائها وبصيغ الاستحضار، بأن تفعل ما تتحقّق به أهداف الناس ومنافعهم، ولا سيما على حساب أناس آخرين. وكانت هذه القوى تثير الخوف؛ فلم يكن المرء يستطيع أن يشعر بالأمان بسبب «حضورها في كل مكان».

وكانت الأسئلة الآن: ما شأن الذين آمنوا بالإنجيل؟ هل لا يزال للقوى تأثير؟ هل كان المسيح في مستوى واحد مع القوى، أم كان متفوقًا عليها، أم حتى أدنى منها؟ هل كانوا لا يزالون تحت رحمة القوى؟ كيف ينبغي أن يتصرفوا تجاه القوى؟ أم كان ينبغي الإبقاء على هذه العبادات إلى جانب إيمانهم الجديد؟ يمكن، من بين أمور أخرى، أن نقارن ذلك الزمان بعبادة الفودو في هايتي وأفريقيا، حيث يعيش الناس في خوف من الآلهة. لكنهم حين يؤمنون بالإنجيل تنكسر هذه العبودية وهذا الخوف. وتأثير الآلهة في هذه العبادات ومن خلالها يختلف عن تأثيرها كما يحدث في العالم الغربي. لكنه هناك حقيقي بالقدر نفسه، وإن لم يكن ظاهرًا بالقدر نفسه. فهناك، في هايتي وأفريقيا، وفي أجزاء أخرى كثيرة من الأرض أيضًا، يؤمن الناس بالآلهة، وهي جزء من الحياة اليومية. أما عندنا فلا يؤمن الناس بهذه الكائنات. لكن هذا بالضبط تفوق مسبق لإبليس في إبقاء الناس في العبودية.

إن هذه العبودية وسلطان الظلمة في مناطقنا لا علاقة لهما في الغالب بالمسّ الشيطاني. ففي مجتمعنا هو تضافر بين العالم، وشهوة الإنسان ورغباته، والقوى غير المنظورة (2: 2). فنظام العالم يوجّه إبليس، وبهذا تُخلق بيئة يُجذب فيها الإنسان بعيدًا عن الله. ويُضاف إلى ذلك أن الإنسان نفسه يريد الخطية لا الله الذي ينبغي أن يخضع له. وهذان الشرطان المسبقان يفتحان أمام القوى الشريرة غير المنظورة، العاملة في الهواء، أي في محيطنا المباشر، كل الإمكانيات لتقوية ذلك كله لصالحها. وهي في ذلك تركّز على مواقع مفتاحية مهمة (الحكم، والمدرسة، والتعليم، والتقنية، ووقت الفراغ)، وعلى الطبيعة أيضًا، لكي تضّر الإنسان من كل ناحية. لكن ذلك يجري في النهاية ضمن الإطار الذي يسمح به الله. وعلينا أن نتصوّر أن حجم التمرد على الله في العالم غير المنظور يضاهي التمرد الذي نخبره في العالم المنظور.

ومن الأهداف الرئيسية لهجوم ولاة العالم هؤلاء على الظلمة بطبيعة الحال أولئك الذين انتزعوا من سلطانهم، والذين لم يعد في وسعهم أن يخطفوه من يد الآب والابن. ولأن المؤمنين في أمان هناك، تحاول هذه القوى أن تدمّر حياة الإيمان لدى المؤمنين، وقبل كل شيء غيرتهم للإنجيل. فهذا ما يجب أن نخافه، لأن الإنجيل يستطيع أن يحرّر الناس من سلطانها. وإنجيل نعمة الله هو البرهان على أن أيامها معدودة.

وحين يورد بولس مفاهيم مختلفة تُسمّى بها هذه الكائنات الملائكية، فهو يستعمل المفاهيم التي كان يستعملها الناس والعبادات نفسها، أي اليهود والأمم. وهو يتبنّى فيما يتعلق بهذه الكائنات النظرة إلى العالم السائدة في تلك الأيام، لأنها كانت تطابق الواقع بطريقة ما. أما ما لا يفعله بولس، وإن كنا ربما تمنّينا، فهو بسط تسلسل هرمي لعالم الملائكة، أو مخطط تنظيمي للمؤسسة الإبليلية لإنتاج مكايدها الإبليلية. فالمفاهيم توحى بوجود تسلسل هرمي. وكان الأمم يعرفون مثل هذا التسلسل في عالم الملائكة. لكن بولس لا يقول إلا ما هو مهم حقًا، ويفترض ببساطة الواقع الشخصي لمخلوقات قوية، ومن ثمّ متفوّقة على البشر. والمهم عنده أن يُعلن خضوع هذه القوى للمسيح، وتحرير المؤمنين من دكتاتوريتها. لكن المهم عنده بالقدر نفسه أنها، مع أنها مهزومة، لا تزال تهاجم المؤمن حيثما استطاعت. وبهذا يُدعى المسيحي إلى أقصى درجات اليقظة تجاه التأثيرات الشيطانية (العالمية، الخاطئة). وعليه أن يكشف هذه المكاييد ويقاومها. وبهذا تصير الحياة المسيحية حربًا، لكنها حرب يمكن كسبها بقوة المنتصر، الرب يسوع المسيح المرفّع. إن الرسالة إلى أهل أفسس تجعل قراءها قادرين على أن يعيشوا بوعي مقامهم الجديد في المسيح تجاه القوى، في اتّكال على ربهم وعلى شدة قوته. وربما لا نستطيع أن نتحمّس هذا الشعور إلا بقدر ضعيف، لكن ينبغي لنا بالأحرى أن نأخذ هذه التأثيرات في زمننا بجدية.

والكتاب نفسه يخبر أن للملائكة سلطانًا على الأمم. ففي دانيال 10 يدور الحديث عن رؤساء، أي قوى ملائكية لممالك مادي وفارس، وكذلك اليونان. ويمكن أن نفهم الشخصية الكاريزمية للإسكندر الأكبر وصعوده السريع فهمًا أفضل بكثير من هذه الزاوية. والرئيس الملك ميخائيل مُعَيَّن لشعب إسرائيل. وفي التثنية 29: 26؛ 32: 8 (الترجمة السبعينية والترجمة اللاتينية القديمة تقرأ: بحسب عدد ملائكة الله) يُوسَّع ذلك ليشمل جميع الشعوب.

آلهة الشعوب باطلة، إنها لا شيء، وليست آلهة حقيقية. لا إله إلا يهوه. ولكن من جهة أخرى يختبئ وراء هذه الأوثان عالم الشياطين (1 كورنثوس 10: 19 وما بعده). وبهذه الطريقة كان هناك تأثير مباشر للعالم المنظور على العالم غير المنظور.

والرواية المفصلة التي يقدّمها لوقا في سفر أعمال الرسل (الأصحاح 19) تؤكد الملاحظات المذكورة أعلاه (النص التالي مترجم عن ترجمة إبيرفلدر الألمانية للكتاب المقدس):

« ودخل هو (بولس) إلى المجمع، وظلّ يتكلم بجرأة طوال ثلاثة أشهر، يحاورهم ويقتنعهم بأمور ملكوت الله. ولما تصلّب بعضهم ولم يؤمنوا¹، وأخذوا يتكلمون بالسوء على الطريق² أمام الجمهور، انفصل عنهم وأفرز التلاميذ، وكان يحاور كل يوم في مدرسة تيرائس. ودام ذلك سنتين، حتى سمع كلمة الرب جميع سكان آسيا، يهودًا ويونانيين. وكان الله يجري على يدي بولس معجزات خارقة، حتى إن الناس كانوا يأخذون مناديل أو مآزر لامتست جسده ويضعونها على المرضى، فتفارقهم الأمراض وتخرج منهم الأرواح الشريرة.

وحاول أيضًا بعض المعرّمين اليهود الجوّالين أن يذكروا اسم الرب يسوع على الذين بهم أرواح شريرة، قائلين: أستحلفكم بيسوع الذي يكرز به بولس! وكان الذين يفعلون ذلك سبعة أبناء لرئيس كهنة يهودي اسمه سكاوا. فأجاب الروح الشرير وقال لهم: أما يسوع فأعرفه، وأما بولس فأعلم من هو؛ وأما أنتم فمن أنتم؟ فوثب عليهم الإنسان الذي كان فيه الروح الشرير، وتمكّن من اثنين منهم وغلبهم، حتى هربوا من ذلك البيت عراة مجروحين. فصار هذا معروفًا عند جميع سكان أفسس، يهودًا ويونانيين، فوقع الخوف عليهم جميعًا، وتعظّم اسم الرب يسوع. وجاء كثيرون من الذين آمنوا يعترفون ويعلنون أعمالهم. وكثيرون من الذين كانوا يمارسون السحر جمعوا كتبهم وأحرقوها أمام الجميع؛ وحسبوا ثمنها فوجدوه خمسين ألف قطعة من الفضة. وهكذا كانت كلمة الرب تنمو بقوة³ وتغلب⁴.



عظيمة هي أرطاميس الأفسسيين! أعمال 19: 23-40 (مترجم عن ترجمة إلفلدر الألمانية)

«وفي ذلك الوقت حدث اضطراب غير قليل بسبب الطريق⁵. فإن صائغ فضة اسمه ديمتريوس، كان يصنع هياكل فضية لأرطاميس، كان يجلب للصنّاع ربخاً غير قليل؛ فجمعهم مع العمّال الذين يشتغلون في هذا العمل، وقال: أيها الرجال، أنتم تعلمون أن رخاءنا قائم على هذا الكسب؛ وأنتم ترون وتسمعون أن بولس هذا قد أقنع جمعاً كبيراً من الناس وحولهم، لا في أفسس وحدها بل في أسيا كلها تقريباً، قائلاً إن الآلهة المصنوعة بالأيدي ليست آلهة. وليس الخطر علينا فقط أن تسوء سمعة هذه الحرفة، بل أيضاً أن يُحسب هيكَل الإلهة العظيمة أرطاميس كلاً شيء، وأن تزول عظمتها المجيدة التي تعبدها أسيا كلها والمسكونة.

فلما سمعوا ذلك امتلأوا غيظًا، وأخذوا يصرخون قائلين: عظمة هي أرتاميس الأفسسيين! فعمّت الفوضى المدينة؛ واندفعوا بنفس واحدة إلى المسرح، وجروا معهم غايوس وأرسترخس المقدونيين، رفيقي بولس في السفر. ولما أراد بولس أن يدخل إلى الشعب، لم يدعه التلاميذ. وبعض رؤساء أسيا⁶ أيضًا، وكانوا أصدقاءه، أرسلوا إليه يطلبون ألا يذهب إلى المسرح. وكان بعضهم يصرخ بشيء وبعضهم بشيء آخر؛ لأن الجمع كان مضطربًا، وأكثرهم لم يكونوا يعرفون لماذا اجتمعوا. فأخرجوا من الجمع الإسكندر، الذي دفعه اليهود إلى الأمام. فأشار الإسكندر بيده وأراد أن يدافع عن نفسه أمام الشعب. فلما عرفوا أنه يهودي، ارتفع صوت واحد من أفواه الجميع، وظلّوا يصرخون نحو ساعتين: عظمة هي أرتاميس الأفسسيين! ولما هدأ كاتب المدينة الجمع، قال: أيها الرجال الأفسسيون، من من الناس لا يعلم أن مدينة الأفسسيين حارسة لهيكل أرتاميس العظيمة وللتمثال الذي سقط من السماء؟⁷ فإذا كان هذا أمرًا لا يُنكر، فيليق بكم أن تهدأوا ولا تفعلوا شيئًا متهورًا. فقد أتيتم بهذين الرجلين، وهما ليسا سارقًا هياكل ولا مُجذِّقين على إلهتنا. فإن كان لديمتريوس والصنّاع الذين معه دعوى على أحد، فإن أيام القضاء تُعقد، والولاية موجودون؛ فليتناقض بعضهم مع بعض. وإن كان لكم طلب في أمور أخرى، فسيُفصل فيه في الاجتماع القانوني. لأننا معرّضون أيضًا لأن نُتهم بسبب شعب هذا اليوم، إذ لا يوجد سبب نستطيع به أن نقدّم حسابًا عن هذا التجمهر. ولما قال هذا صرف الاجتماع.

سلاح الله الكامل: الحرب الروحية، ولكن كيف؟

ينبغي أن تُفهم التوجيهات المتعلقة بالحرب الروحية لا بوصفها ختامًا هادئًا، بل بوصفها ذروة الجزء العملي من الرسالة. وعلى أي حال، أماننا نوع من الخطاب الختامي الجامع. ويمكن مقارنته بخطاب قائد عسكري (جنرال) لمقاتليه قبل بدء المعركة. ومن الجيد أن نستحضر قليلًا هذا التوتر الدرامي قبل المعركة، لكي نقدّر خطورة الحرب الروحية تقديرًا صحيحًا.

الحياة المسيحية حرب دائمة. ولتوضيح ذلك يورد بولس صورة الجندي، وربما الجندي الروماني، إذ كان الجنود في ذلك الزمان جزءًا من مشهد الشوارع في أفسس. وبهذه الصورة يؤكد آية الحرب وواقعها الوحشي أيضًا، وهذا يصحّ أيضًا على الحرب الروحية. والواقع أنه يستعمل هنا الكلمة الدالة على المصارعة في الحلبة، لأنه يريد بذلك أن يؤكد قرب العدو. وبهذا المعنى يمكن أن نقارن الأماكن السماوية بحلبة سماوية.

وقد تحدثنا في الرموز من قبل عن الحرب التي جرت آنذاك في كنعان فعليًا وحرفيًا. ويقول بولس إن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، أي ليست ضد البشر، بل ضد أجناد الشر الروحية (غير المنظورة) في السماويات (6: 10-20). ولنبقّ في الصورة: إن قوى الشر هذه تريد بكل قوتها أن تمنعنا من أن نعيش في كنعان، أي من أن نعيش مقامنا المسيحي في المسيح في السماويات. إنها تريد أن تبلغ ألا نذوق غنى البركة السماوية ولا نتمتع به، ولا نعيشه ولا نشهد له. هذه القوى تريد أن تدمّر حياة إيماننا، وأن تُجفّفها، وأن تدفعنا إلى الورا إلى مجرى هذا العالم الذي أتينا منه. فبالتكّيّف مع مجرى العالم تموت الشهادة لإنسان الله الجديد في المسيح والشهادة للإنجيل. والطريق إلى ذلك ليس المسّ الشيطاني، بل الخطية.

لنتذكّر: لقد رُفع أهل أفسس في المسيح مرة واحدة وإلى الأبد فوق هذه القوى الملائكية العظيمة الكثيرة. فلم يعودوا إذن بحاجة إلى أن يخافوها. وكان ذلك ارتياحًا وتحزّرًا يصعب علينا اليوم أن نتصوره. لكنهم هنا كان يمكن أن يرتكبوا خطأ فادحًا. فالتهديد كان لا يزال قائمًا، ولكن ليس على النحو الذي كان عليه قبل

توبتهم. فهذه القوى الروحية كانت لا تزال تُخشى الآن أيضًا، لأن المؤمنين صاروا من جديد هدفًا للهجوم. لكن المسألة الآن صارت منع تحقيق مقام النصر الرفيع الذي لهم في المسيح. لم تعد هذه القوى تستطيع أن تسلب المؤمنين هذا المقام، لكنها تستطيع أن تسلبهم حياةً في قوة هذا المقام أو منها. فالآن لم يعد عنف إبليس هو ما يُخشى، بل مكره. وكانت هذه المكاييد تواجههم في العالم، في كل مكان وفي كل موقف من مواقف الحياة، في الزواج والعائلة، في مكان العمل وفي الكنيسة. ولذلك يُطلب في حياة الإيمان أقصى درجات الانتباه والتركيز. إنها كائنات وقوى حقيقية تتحرّك في الهواء، أي في محيطنا المباشر، وتعمل باستمرار على سقوطنا وهزيمتنا. لكن بولس يرانا في موقع القوة، لا فيما يخص مقامنا فحسب، بل في حياة إيماننا أيضًا: فيه نحن أقوى، أقوى من هذه القوى المهزومة. أما خارج قوة المسيح فلا فرصة لنا، لأن هذه الكائنات، هذه القوى، أقوى منّا وأمكر.

وكيف تعمل هذه القوى، وما استراتيجيتها وتكتيكها، يتّضح من السلاح الروحي الذي ينبغي أن نلبسه. فهناك أسلحتنا هي الحق، والبر، والسلام، والإيمان، والخلاص، والكلمة. ومن ذلك يتبيّن أن العدو يريد أن يدمر حياة إيماننا بالكذب، والظلم، والخصام، وعدم الإيمان، والشك. فالأمر يتعلق فعليًا بأخلاقيات حياتنا المسيحية، وهي التي في مرمى العدو.

إن التأثير الشرير لهذه الجيوش السماوية الإبليلية غير المنظورة لا يظهر بالضرورة في المسّ الشيطاني، كما يفترض البعض. فهذا التأثير مكر ومُغوي. نحن نتعامل مع ملاك النور الذي يأتي متنكرًا في ثوب التقوى. والأمر لا يتعلق بشيء استعراضي، بمعنى أن نهجم ونواجه القوى الشريرة، لكي نطردها مثلًا من مدينة أو منطقة. فهذا النوع من الحرب، الذي يُمارس في الحركة الكاريزمية، لا يمكن بأي حال أن يُستنتج من نص بولس هذا (ولا من أي نص آخر). حتى وإن كنا ربما نتوقّع ذلك بسبب الأمور الغيبية والسحر والشعوذة في مدينة أفسس. كلا، فالحرب ليست حملة صليبية، لا ضد غير المؤمنين ولا ضد الشياطين، بل هي حرب تريد أن تصيب حياتنا الروحية في أكثر مواضعها حساسية، بالخصام في الزواج والعائلة والكنيسة. ففيه لنا منذ الآن مقام نصره على هذه القوى، ولذلك ينبغي أن نكون هذا بالضبط وأن نعيشه.

وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن أن تحدث، بل تحدث فعليًا، مواجهات مع شياطين ومع ممسوسين. ويصحّ هذا بنوع خاص في البلدان التي يكون فيها السحر جزءًا راسخًا عميقًا من الثقافة، فيكثر فيها بالتالي المسّ الشيطاني. لكن المؤمنين الحقيقيين، الذين رُفِعوا في المسيح فوق القوى، لا يمكن أن يكونوا ممسوسين. ويمكن لتأثير الشياطين أن يمتدّ إلى حياة المؤمنين، لا بالأعباء الغيبية بقدر ما هو بنمط حياة عالمي. وكون هذه الحقيقة مرتبطة بالعالم غير المنظور أمرٌ يُستهان به اليوم!

لا يمكن ربط كل خطية أو كل تكيف مع العالم بهذه القوى؛ «فليس وراء كل شجيرة شيطان». إنه العالم، وجسدنا، والعالم الروحي، التي تريد أن تُسقطنا. إنه تأثير من الداخل، ومن الخارج، والتأثير الفائق للطبيعة من خلال العالم غير المنظور.

كيف يمكن أن نصف حربنا، ومن أي نوع هي؟ يجب أن نستنتج من توجيهات بولس أن الأمر لا يتعلق بحرب هجومية. بل يتعلق بـ«الثبات» و«المقاومة» و«الوقوف». فعلينا إذن أن نحافظ على موقعنا، وألا نتخلّى عمّا هو كنز إيماننا وخبرته أو نسلمه. والسلاح الهجومي الوحيد هو السيف، الذي لا غنى عنه أيضًا للدفاع في القتال القريب.

ومع ذلك يكمن في هذا الوصف شيء هجومي. فإعلان الإنجيل هو الهجوم الأمامي على مملكة الظلمة. والإنجيل هو السلاح الذي به يمكن أن تُنتزع من إبليس غنيمته. والحذاء الجيد، أي الاستعداد لإنجيل السلام،

يشهد على الحركة والتنقل في معركة إعلان الإنجيل.

صحيح أن النص لا يذكر ذلك، لكن من المشجع أن ليست كل معركة تُخاض وحدها. فتشكيلنا هو جيش الرب، الذي فيه نقف معًا في الكنيسة ونحارب بوصفنا رفقاء المسيح في الجهاد.

ومع ذلك هذا التنبيه: السلاح لا ينمو علينا كما ينمو الريش للطائر، بل علينا أن نلبسه، وأن نستعمله ونطبّقه بفاعلية في حياتنا اليومية.

أفسس وكولوسي

لا بد أن كل قارئ للكتاب المقدس، منهجيًا كان إلى حدٍّ ما أم لا، قد لاحظ تشابهًا معيّنًا أو أوجه تواءٍ بين الرسالتين إلى الكنيستين في هاتين المدينتين. فقد كُتبتا في الوقت نفسه، وكذلك الرسالة إلى فليمون. ولذلك فدراسة مقارنة أمر يستحق العناية بالتأكيد.

ويكفي هنا أن نشير إلى أن اللاهوت النقدي للكتاب المقدس، الذي اتخذ لنفسه مهمة البحث عن كل ما لا يمكن أن يكون صحيحًا، يفترض أن الرسالة إلى أهل كولوسي لم يكتبها بولس، وأنها بدورها كانت نموذجًا لكاتب الرسالة إلى أهل أفسس (وهو أيضًا ليس بولس).

وهذه ليست سوى نظرية واحدة من نظريات كثيرة. أما نحن فنصدّق شهادة الأسفار عن نفسها، التي تذكر بولس كاتبًا، في التحية، وفي الوسط، وفي ختام الرسائل أيضًا.

وليس مفاجئًا كذلك أن كنيستين لا يفصل بينهما سوى نحو 180 كم كانت لهما مشكلات لا متطابقة تمامًا، لكنها متشابهة. ولذلك يمكن أن تُظهر الرسالتان أوجه تواءٍ كثيرة.

من المراجع المستخدمة:

Arnold, E. Clinton, Downers Grove, 1992, Powers of darkness: principalities & powers in Paul's letters

Arnold, E. Clinton, Eugene OR, 1989, Power and Magic, The concept of power in Ephesians

Blatt, Helmut, Marburg/Lahn, 2002, Das Geheimnis der geistlichen Waffenbrüstung

Elberfelder (ترجمة ألمانية للكتاب المقدس)، 2005، Hückeswagen

Ellicott, C.J., London، إعادة طبع 2004، A Bible Commentary for Bible Students, Volume 8

Grant, F.W., New Jersey, 1901, The Numerical Bible

Greijdanus, Dr. S., Kampen, 1932, Korte Verklaringen, Deel 12

Lee, Witness, Stuttgart, 1980, Der Brief des Paulus an die Epheser

Lincoln, William, Glasgow, 1980, Assembly Writer Library, Vol.II

House, H. Wayne, Marburg/Lahn, 1983, Chronologische Tabellen und Hintergrundinformationen zum NT

- Keener**, Craig S., Neuhausen, 1998 (1993 Inter Varsity Press), Kommentar zum kulturellen Umfeld des NT
- Kelly**, William, Oak Park, Lectures on the Epistle to the Ephesians
- Kettling**, Siegfried, 1992, Gießen, Typisch evangelisch – Grundbegriffe des Glaubens
- Martin**, P. Ralph, Wuppertal, 1985, Brockhaus Kommentar zur Bibel
- Medema**, H.P., Vaassen, 1991, De nieuwe Mens: Commentaar op de Brief van Paulus an des Efeziërs
- Remmers**, Arend, Hückeswagen, 2004, In Christus gesegnet, Eine Auslegung zum Epheserbrief
- Smith**, Hamilton, Edingburgh, The Epistle to the Ephesians, An Expository Outline
- Stadelmann**, Helge, Neuhausen Stuttgart, 1993, Der Epheserbrief, EDITION C-Bibelkommentar
- Stott**, John R.W., VTR, Nürnberg 2001, Die Botschaft des Epheserbriefes
- Schmalenbach**, Hanna-M., Marburg/Lahn, 2007, Frausein zur Ehre Gottes im Kontext verschiedener Kulturen
- Tenney**, Merrill C., Marburg/Lahn, 1979, Die Welt des Neuen Testaments
- Wjst**, Walter, Dillenburg, 1999, Ephesus – Aufstieg und Fall einer Großstadtgemeinde
- Hoehner**, Harold W., Michigan, 2002, Ephesians, An Exegetical Commentary
- Peters, Benedikt**, Berneck, 1991, Pulsierendes Leben, Ein Gang durch den Epheserbrief
- Peters, Benedikt**, Berneck, 1989, Dämonische Verstrickungen, Biblische Befreiung

الحواشي

1. أو: وعصوا.
2. أي الطريق المسيحي أو الاعتراف المسيحي.
3. قراءة أخرى: وهكذا كانت الكلمة تنمو بقوة الرب.
4. أو: وثبت قوتها.
5. أي الطريق المسيحي أو الاعتراف المسيحي.
6. أي ممثلو الشعب الذين كانوا مسؤولين أيضاً عن الأعياد الدينية.
7. حرفياً: من زيوس.